**بسم الله الرحمن الرحيم**

**فهرس ما فيه من المطالب:**

1- وجه تسمية هذه السورة بالقمر

2- معني اقتراب الساعة وملازمة انشقاق القمر اياها

3- معني انشقاق القمر و انشقاق السماء في هذه السوره وسورة الانشقاق

4- انشقاق القمر من معجزات رسول الله(ص)

5- امکان انشقاق القمر واثبات انّها لا يکون من الممتنعات

6- دلالة هذه السوره علي وقوع انشقاق القمر و انها من معجزات رسول الله

7- الاشارة علي القيامة و خروج الاموات من قبورهم

8- الاشارة الي نوح النّبي و ظهور الطوفان و کيفيه وقوع الطوفان بانها کانت معجزه

9- معني تيسيرالقرآن للذکر والاشارة الي قوم عاد وما نزل عليهم من العذاب

10- الاشارة الي قوم ثمود و ظهورالناقه و تأويل الناقه بعلي اميرالمؤمنين(ع)

11- الاشاره الي قوم لوط و نزول العذاب عليهم

12- الاشارة الي قوم فرعون و اشتراک ساير الکافرين في عذاب الله

13- نبذة من حوادث القيامه

14- تفسير "کلُ شئٍ عندَه بمِقدار"

15- وحدة امر الله تعالي في خلق الخلايق

16- استطار الصغير و الکبير من الاعمال

17- اشارة الي الجنة و ان الناس يعيشون في ظلّ حکومة الله

**وجه تسمية السور:**

سمّيت هذه السورة بالقمر لوجود هذه الکلمة فيها کما تُسمّي اکثرُ السور بما استُعمل فيها شاخصٌ من الکلمات او القصص. تسمي سورة الحمد ب "الحمد" و سورة يس ب "يس" و سورة البقره بقصه "البقره" فيها.

و الذي سَمّي السوَر بهذه الاسماء اِمّا هم المسلمون او النبي صلي الله عليه وآله، لانه لم ينزل اسماء السور من السماء ان يسمي الله تعالي سورة باسم خاص. و يمکن ان يقال سَمّي الله تعالي سورة الحمد ب"المثاني" و کل القرآن باسم "القرآن" و "الفرقان" بما انزل في قوله تعالي: "و لقد اتيناک سبعاً من المثاني و القرآن العظيم"[[1]](#footnote-2) يفسر الامام عليه السلام "المثاني" في هذه الآيه بسورة الحمد و يقول اَفرده الله تعالي بالذکر و جعلها قبال القرآن. ولو کان هذه السوره من القرآن لم يفردهَا الله تعالي بالذکر.

و امّا تسمية ساير السور بتسمية المسلمين او الخواص من اصحاب رسول الله او الرسول صلي الله عليه و آله.

يخبر الله تعالي في هذه السوره عن اقتراب الساعه و يردفها بانشقاق القمر، يقول:

**الايه 1- اقتربت الساعه وانشق القمر.**

فلابد لنا ان نطلب الملازمه او الرابطه بين هذين الجملتين. هل الله تعالي جعل انشقاق القمر علامةً لوقوع القيامه ليمکن الملازمه بينهما؟ او ليس انشقاقُ القمر من علائم القيامه بل کل واحد منهما جملةٌ مستقلة بلا ملازمة و لا مناسبه.

معني اقتراب الساعه و ملازمة انشقاق القمر اياها:

فنقول انا بعد ان نتبع في اي القرآن نري فيها انشقاق بعض الاشياء من علائم القيامه حيث يقول الله تعالي: "فاِذا انشقّتِ السماءُ فکانت وَردةً کَالدّهان" او يقول: "اذا السّماءُ انشَقّت" "اذا السّماءُ انفَطَرَت" او يقول: "و يومَ تشققُ السماءُ بالغمام"[[2]](#footnote-3) و امثالها من سايرالايات. فيمکن لنا ان نجد المناسبه او الملازمه بين انشقاق القمر و القيامه. فنقول انشقاق القمر کانشقاق السماء من علائم القيامه. فان السماء لا يکون بمعني الفضاء و الهواء فقط بل يطلق کثيرا علي ما في السماء من القمر و الکواکب. فحينئذ يمکن ان يوجد الملازمه و المناسبه بين انشقاق القمر و القيامه، کما يقول في "اذا الکواکب انثرت" "اذا النجوم انکدرت" و غيره.

معني انشقاق القمر و انشقاق السماء في هذه السوره و سورة الانشقاق:

ثم نطلب معني انشقاق السماء او ما فيها من الشموس و الکواکب و الاقمار. فنقول ما معني انشقاق السماء او انشقاق القمر؟ هل هي مسدودة علي الانسان لا يقدر الانسان ان يصعد فيها فينشقّهَا الله تعالي يوم القيامه ليقدر الانسان يصعد فيها کما قالت الفهلويون في هيئة بطلميوس؟ کانوا يقولون ان السماء خلقت او صنعت من بلور شفافة ضخيمه ارتکزت فيها الکواکب و الاقمار. فجعلوا لکل سيارة من الکواکب فلکا من البلور و القوارير وجعلوا في تحتها القمر و ساير الکواکب الي ان انتهوا الي فلک الثوابت او فلک الافلاک. فقالوا انها قطعة عظيمه من بلور مقعره بالنسبه الي ما تحتها و محدبة بالنسبة الي ما فوقها. ثم جاء الاخرون و ابطلوا الهيئة القديمه، فقالوا ان السماء فضاء الي ما لا نهايه له، فيها من الکواکب و الاقمار ما لا تُحصي و کلها سائرون سائحون في افلاکها.

و يؤيد اي القرآن الهيئة الجديده. کقوله تعالي "و القمرَ قدّرناه منازلَ..." "و الشمسُ تجري لمستقرٍ لها..." الي قوله "و کلٌ في فلکٍ يسبحون"[[3]](#footnote-4) فتدل هذه الايات علي ان الکواکب و الشموس کلها سائره متحرکه في افلاکها.

فنقول ما معني تشقق السماء حتي تتقلب واهيه، کما يقول "و انشقّت السماءُ فهي يومئذٍ واهيه"[[4]](#footnote-5) فعلي ما قلنا ان السماء فضاءٌ واهيه خاليه في ذاتها فما معني انشقاقها، تشققَها يومَ القيامه؟ ان الانشقاق و التشقق انما هي في جسم مُنسدٍّ شديدِ الانجسامِ کاجسامٍ مثل حديد و ساير الفلزات، و لا معني للانشقاق و التشقق في الاجسام الواهيه او المايعة السايله. فان الفضاء و الهواء واهيةٌ سائله. فلابد لنا من توجيه انشقاق السماء و انشقاق القمر.

فنقول الانشقاق و التشقق بمعني ظهور الشئ من شئ اخري بکيفية الخروج و الاِنبات کما تخرج النبات من التراب او تخرج الاوراد و الاوراق و الثمرات من الشجر، و هو ما يسمي بالفارسيه( شکوفايي ). تنشق فتخرج منه الاوراق و الثمرات. و کذلک الارض تتشقق و تخرج منه النباتات. فيمکن ان يکون تشقق السماء و القمر من هذا القبيل، يخرج منهما شيئ او يثمران بشيئ کما تثمر الاشجار. ولکنّا اذا تعمّقنا في وضع القمر و السماء بالنسبة الي الانسان نري الطريقَ اليهما مُنسدّين لا من جهت ان الفضاء جسم ثخينٌ شديد الانجسام بل من جهة ان الانسان لا يقدر ان يطير الي السماء فيخرج منها الي الکواکب. فکان السماء مسدود علي الانسان اذ لا يقدر علي ان ينفذ من اقطار السموات و الارض الا بسلطان[[5]](#footnote-6). و هذه الآيه في سورة "الرحمن" دليل قاطع کامل علي کيفية انسداد السماء علي الانسان من حيث عدم القدرة علي النفوذ و الخروج، کما لا تجد احدا صعد الي السماء و عرج الي الکواکب. فيوم القيامه يوم يجعل الله تعالي سلطانا للمؤمنين المتقين يقدرون علي النفوذ من اقطار السموات کما نفذ رسول الله (ص) في معراجه.

و انشقاق القمر و السماء بهذه المعني من علائم القيامه. فيوم القيامه يوم تشقق السماء بالغمام او تشقق فيأذن الله تعالي للانسان علي العروج فيها، کما يقول في سورة الانشقاق "اذا السماءُ انشقّت و اذنَت لربّّها و حُقت" و رب السماء و الارض في هذه الايه هو الانسان الکامل، ولي اللهُ الاعظم؛ لا يکون الرب في هذا الموضع الله تعالي، اذ لا ينسد ابوابُ السماء عليه و هو تعالي محيط بالسماء و الارض. فالرب الذي يأذن له السماء يوما و لا يأذن له يوم اخري هو الانسان الکامل ولا سيما اولياء الله ارباب السماء والارض. و يقول في اية اخري "و فُتحتِ السماءُ فکانت ابوابا" و في اية اخري "السمواتُ مطوياتٌ بيمينه"[[6]](#footnote-7) يجعل الله تعالي للانسان الکامل قدرة و سلطانا يقدر به ان يصعد السماء و ينفذ من اقطارها.

فيمکن علي هذا التحقيق ان يکون انشقاق القمر کانشقاق السماء من علائم يوم القيامه وقلنا مرارا بالدلائل و البراهين بان قيامه عليه السلام هي القيامه، و فُسّرتِ الايه "و اشرقت الارض بنور ربّها" بنور امامها و هو القائم عليه السلام. فيوم القيامه يقدر الانسان ان يصعد اليها و ينزل فيها کما يصعد الي ساير العوالم.

انشقاق القمر من معجزات رسول الله(ص):

و يمکن ان يقال ان انشقاق القمر في هذه الايه هو الاعجاز المعروف من النبي صلي الله عليه وآله، انه انشقّ القمرَ نصفين نصفٌ الي المغرب و نصف اخري الي المشرق ثم رجع بهما الي ما کان. و انشقاق القمر من معجزاته المعروفه المشهوره ولا سيما ان الله تعالي قرن انشقاق القمر بقول الکفار، يقولون انها سحر مستمر. فقرن الله تبارک وتعالي انشقاق القمر بکلمة "الآيه" و قول الناس "سحر مستمر" ليکونا دليلين علي اعجاز النبي صلي الله عليه وآله، حيث ان انشقاق القمر لو کان آية من آيات القيامه يقع عند ظهور القيامه فلا يقدر احد ان ينکرها و يقول انها سحر مستمر. فان الآيات بمعني المعجزات يقع قبل القيامه ولا يقع في القيامه آيه من الآيات بمعني المعجزات، لان القيامه کلها آيه من آيات الله يحدث باعجاز و يدوم باعجاز و يبعث الناس فيه باعجاز و لا يمکن لاحد ان ينکر آيةً في القيامه و يقول انها سحر مستمر. فالتعبير من انشقاق القمر بالآيه دليل انها وقع معجزه من المعجزات وکذلک التعبير حکايه عن قول المشرکين بانها سحر مستمر.

و لا ينافي وقوع انشقاق القمر اعجازا من الرسول ان يکون آيه من الايات القيامه ايضا لان کل حادثه حدث قبل يوم القيامه تکون من علائمها اذ يتهيئوا الناس بهذه الحادثه للقيامه کما روي عن الائمه عليهم السلام في اشراط الساعه و قول الله "فقد جاء اشراطها" فان اشراط الساعه حوادث ذکرته الائمه عليهم السلام انها تقع قبل القيامه.

و لابد لنا هناک لبيان وقوع انشقاق القمر و امکانها من مباحثٍ نبحث فيه و نبينها لعباد الله المؤمنين. فالبحث في انشقاق القمر يقع علي وجوه:

امکان وقوع انشقاق القمر و اثبات انها لا يکون من الممتنعات،

و اِنها وقع في تاريخ الاسلام و اثبتها المورّخون، ثم دليل وقوع المعجزات و کيفية وقوعها

فهناک ابحاثٌ اربعه لابد من بيانها انشاء الله تعالي. فنقول الافعال و الاعمال او الحوادث و الوقايع ممکن و ممتنع. فالممکن ما يقع بارادة الفاعل و الممتنع ما لا يجوز و قوعه. و لا شک ان انشقاق القمر من الممکنات لان القمر جسم کساير الاجسام من الاحجار و الاخشاب و التراب و غيره، و کل جسمٍ قابلةٌ للانشقاق، کما ينشق الحجر و المدر و غيرذلک. فالقمر قابلة للانشقاق، فلا يکون انشقاق القمر من الممتنعات. و ايضا القمر جسم و ان کان کبيرا بعيدا عن تصرف الانسان. و کل جسم صغيرا و کبيرا ينشق ان کان بيد الانسان و يقدر الانسان علي التصرف فيه. فالقمر کذلک ان کان بيد الانسان و يقدر علي التصرف فيه. فالمانع في تصرف القمر عجز الانسان، ينشاء من بُعد القمر عنه و قصور يد الانسان عن التصرف فيه. فاذا رفع الله تعالي المانع من بُعد القمر او عدمِ القدرة للانسان علي التصرف فيه يرفع المشکل، فيقدر الانسان ان يتصرف في القمر فينشقُه نصفين او ثلاثه اقسام. و نحن نعلم بان الله تعالي اِما ان يجعل قدرته بيد الانسان فيقدر الانسان علي ما يقدر الله عليه او يجيب الله تعالي دعاء الانسان فينشقه. فحين دعَي النبي ربه بالانشقاق اجاب الله تعالي دعوته اتماما للحجّه به علي من طلبه و سئله هذه الاعجاز.

فثبت بدلائل العقل ان انشقاق القمرمن الممکنات ولا يکون من الممتنعات، و ثبت في تاريخ الاسلام ايضا، نقله المورخون و انشدوا له الاشعار کما يحکي عن شاعرهم في هذا الزمان:

*الم تران الله جلّ جلاله اتانا ببرهان علي يد احمدٍ*

*و ابدا ظلاما حالکا فعمت به عيون الوري في کل غور و منجدٍ*

*و اقبل بدر التم من بعد ظلمه الي ان علا فوق الحطيم بمبعدٍ*

*و طاف ببيت الله سبعا و حجه و خرّ الاَمام البيت في خير مسجدٍ*

*و سار الي اعلا قريش مسلما و اکرم فضل الهاشمي محمدٍ*

 *وقد غاب بدر التم في وشط جيبه و في ذيله اهوي علي رغم حُسّدٍ*

*وعاينته في الافق يرکض واضحا مبينا بتقدير العزيز الممجد*

*وعاينته نصفين في الشرق واحد و في الغرب نصف غيرشک لملحدٍ*

و اليک روايات في هذا المعني: [[7]](#footnote-8)

حدثنا حبيب ابن الحسن بن ابان الاجري قال حدثني محمد بن هشام عن محمد قال حدثني يونس قال لي ابوعبدالله(ع) اجتمعوا اربعه عشر رجلا اصحاب العقبه ليلة اربعه عشر من ذي الحجه [[8]](#footnote-9)فقالوا للنبي (ص) ما من نبّي الا و له آيه! فما ايتک في ليلتک هذا؟ فقال النبي (ص) ما الذي تريدون؟ فقالوا ان يکن لک عند ربک قدرٌ فامر القمر ان ينقطع قطعتين! فهبط جبرئيل(ع) فقال يا محمد الله يقرئک السلام و يقول لک اني قد امرت کل شيئ بطاعتک. فرفع رأسه فامر القمر ان ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين. فسجد النبي (ص) شکرا لله تعالي و سجد شيعتنا. ثم رفع النبي رأسه و رفعوا رؤسهم فقالوا يعود کما کان. ثم قالوا ينشق رأسه فامره فانشق فسجد النبي شکرا لله و سجد شيعتنا. فقالوا يا محمد تقدم سُفّارُنا من الشام و اليمن نسألهم ما رأوا في هذه الليله فان يکونوا راوا مثل ما رأينا علمنا انه من ربک وان لم يروا مثل ما رأينا انه سحر سحرتَنا به. فانزل الله تعالي: "اقتربت الساعه..." الي آخر السوره.

فقال علي(ع) من روايه ابي حذيفه الارحبي: انشق القمر و نحن مع النبي(ص). و رواه عن جبيرابن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبيربن محمد و رواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبدالله بن عتبه و رواه عن ابن عمر مجاهد و رواه عن حذيفه ابوعبدالرحمن السلمي و مسلم بن ابي عمران الازدي و اکثر طرق هذه الاحاديث الصحيحه.

و قال القاضي في الشفاء: اجمع المفسرون و اهل السنه علي وقوع الانشقاق. و روي البخاري باسناده عن ابي معمر عن مسعود: انشق القمر علي عهد رسول الله(ص) فرقتين فرقه فوق الجبل وفرقه دونه. فقال (ص) اشهدوا. و في رواية مجاهد: نحن مع النبي(ص)... و في بعض طرق الاعمش بمعني. و رواه ايضا عن ابن مسعود الاسود و قال: حتي رأيت الجبل بين فرجتي القمر. و رواه عنه مسروق انه کان بمکه، و زاد: فقال کفار قريش سحرکم ابن ابي کبشه! فقال رجل منهم انّ محمدا اِن کان سحر القمر فانه لا يبلغ من سِحره ان يسحر الارض کلها فاسئلوا من يأتيکم من بلد اخر هل رأوا هذا؟ فأتوا فسألوا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلک. و حکي السمرقندي عن الضحّاک نحوه، و قال: فقال ابوجهل هذا سحر فابعثوا الي اهل الافاق حتي ينظروا أ رأوا ذلک ام لا؟ فاخبر اهل الافاق انهم رأوه منشقّا. فقالوا يعني الکفار، هذا سحر مستمر. و رواه ايضا عن ابن مسعود علقمه فهؤلاء اربعة عن عبدالله.

قال ابن عباس اجتمع المشرکون الي رسول الله(ص) فقالوا ان کنت صادقا فشق لنا القمر فلقتين. فقال لهم رسول الله(ص) ان فعلت تؤمنون؟ قالوا نعم. و کانت ليلة بدر فسأل رسول الله(ص) ربه ان يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فلقتين و رسول الله ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا. قال ابن مسعود: انشق القمرعلي عهد رسول الله(ص) شقّتين فقال لنا رسول الله اشهدوا اشهدوا. و ايضا ابن مسعود انه قال: والذي نفسي بيده لقد رأيت الحراء بين فلقي القمر. وعن جبيربن مطعم قال: انشق القمرعلي عهد رسول الله(ص) حتي صار فرقتين علي هذا الجبل وعلي هذا الجبل فقال اناس: سحرنا محمد. فقال رجل ان کان سحرکم فلم يسحر الناس کلهم. و قال الرازي المفسرون باسرهم علي ان المراد ان القمر حصل فيه الانشقاق ودلت الاخبار علي حدوث الانشقاق. وقد روي حديث انشقاق القمر جماعه کثيره من الصحابه منهم: عبدالله بن مسعود و انس بن مالک و حذيفه بن اليمان و ابن عمر، ابن عباس، جبيربن مطعم، عبدالله بن عمر و عليه جماعه من المفسرين الا ما روي عن عثمان عطاء عن ابيه انه قال: معناه و سينشق القمر. و روي ذلک عن الحسن و انکره ايضا البلخي و هذا لا يصلح لان المسلمين اجمعوا علي ذلک. فلا يعتبر بخلاف من خالف فيه و لانّ اشتهاره بين الصحابه يمنع من القول بخلافه ومن طعن بذلک بانه لو وقع لما کان يخفي علي احد من اهل الاقطار فقوله باطل اذ يجوز ان يخفيه الله عن ساير الناس و يجعلهم في غفلة عن هذا.

واما دلائل العقل

لا شک ان الانبياء مبعوثون يبعثهم الله تعالي و يرسلهم الي الناس لينذروهم بعقاب کفرهم و عصيانهم و يبشروهم بالجنه اذ امنوا بربهم و عملوا عملا صالحا. فاتم الله تعالي بهم الحجه علي عباده و اوجب علي العباد اطاعتهم. فعلي هذا يجب علي الله تعالي ان يجعل بايديهم مظاهرا يظهرونها للناس يثبت لهم بهذه المظاهر و الامتيازات انهم مبعوثون من قبل الله تعالي و مرسلون بارساله. فکما ان الله تعالي علّمهم من لدنه علما و حکمه يجب ان يجعل بايديهم قدرته يفعلون به ما يشائون من افاعيل الله تعالي ليستدلوا به علي الناس رسالتهم؛ و هذه الافاعيل هي المعجزات. و لهذا ثبت و ارتکز في افکار الناس بانه لابد لکل نبي و ولي مبعوثٍ منصوبٍ من قبَلِ الله تعالي من المعجزات و الکرامات. فلو ادعي رجل عندک بانه نبي او ولي تطلب منه المعجزه فتقول ان کنت نبيا فاحي هذا الميت او اشف هذه الامراض و غيرذلک من افاعيلٍ يقدر عليه الله تعالي و لا يقدر عليه الانسان. فان اظهر ما سئلته يثبت بذلک انه نبي او ولي و ان عجز و لم يقدر علي ما سئلت منه تعلم بذلک کذبه و انه کاذب. ولذلک لم يدّعِ احد انه نبي الا و سئله الناس المعجزات. و کذلک نبينا صلي الله عليه و آله انه عليه الصلوة و السلام اظهر نبوته و ادّعي انه خاتم النبيين لا نبي بعده، و اتي ببرهان کالشمس الضاحيه في وسط النهار و هو القرآن و عجَز الناس کلُهم ان يأتوا بمثله. و لا شک ان الناس سئلوا منه المعجزات، و مما سئلوا منه انشقاقُ القمر. ولو لم يسئلوه ذلک لم يقع شيئ منها في تاريخ الاسلام. سئلوا منه ان يشق القمر نصفين فدعا ربه و اجاب دعوته في ليلة قمراء بدرا تماما کاملا. و لا يجوز و لا يمکن ان يکون هذا کذبا کذّبوه علي رسول الله لانه لا يکون احد يعقل ان يکذب کذبا مثل هذا. و ثبت في تاريخ الاسلام انشقاقُ القمر کما بينّا و اتم الله تعالي بهذه الاعجاز الحجه علي من سئله و طلب منه مثل هذه المعجزات.

بقي لنا في هذا البحث بعد بيان الاخبار الواردة من کتب البحار و ساير التفاسير في صحّتها، ان نبين کيفية وقوع المعجزات کُلاً ولا سيما هذه المعجزه. لان الاعجاز فعل کساير الافاعيل و ان کان الفاعل هو الله تبارک و تعالي. و کل فعل يقع من فاعل لابد ان يتسبب بسبب بها الي وقوع الفعل، فلا يجري الامور الا باسبابها، کما روي في حديث "ابَي اللهُ ان يجري الامور الّا باسبابها" فکما ان افاعيل الانسان لابد له من سبب يتسبب به کذلک افاعيل الله تبارک وتعالي. فلو اراد الله ان يصنع شجرا لابد لاِنبات هذا الشجر من الشجر من ماء و املاح و تراب ينبت به الاشجار و انّ المنبت هو الله تبارک وتعالي.

و الاسباب التي يتسبب به لايجاد الصنايع او الخلائق علي قسمين. قسم بمعني المصالح و المواد الاوليه التي يعبر عنه في الحکمه بکلمة "بمَ" کما يقال لابد لکل مصنوع من العلل الاربعه: العله الفاعليه و العله الصوريه و العله الماديه و العله الغائيه. فلو لم يکن مواد و مصالح يصنع بها الشيئ يعطل الصنايع و لا يمکن لصانع ان يصنعها. و قسم اخري الاسباب بمعني الابزار و آلات التي يتوسل به الي ترکيب المواد و المصالح لظهورالصنعة کالمنشار للنشر والمفتاح لفتح الباب و غيرذلک. فالاسباب بمعني الثاني لا يتوسل بها الله تعالي لايجاد صنايعه لانه تعالي بنفسه يکون مع کل شيئ و محيط بکل شيئ، لا يحتاج لايجاد فعله ان يتحرک الي فعله او يضطرب لايجاده. کما حکي عن مولانا علي عليه السلام يقول: "فاعلٌ لا بمعني الحرکة و الاله"[[9]](#footnote-10) و لانه تعالي بوجوده و ارادته يصل الي باطن کل شيئ و ظاهره و لا يعزب عن علمه و قدرته مثقالُ ذرة في السماء و الارض. لکنه تعالي اذا اراد ان يصنع شيئا يتسبب لايجاد صنعه الي المواد الاوليه التي يصنع بها و منها الاشياء. فاذا اراد ان يخلق ماء يلزم ان يخلق مواده الاوليه ثم يجعلها ماء يرفع به العطش.

فهناک انشقاق القمرمن الصنايع کما ان خلق القمر من الصنايع. فکما انه تعالي جعل القمر نورا بارادته و يجمع المواد الاوليه، کذلک يقدر ان ينشقّ القمر بارادته.

و لک ان تقول ارادة الله تعالي ينشأ من علمه و قدرته و هو ذاته تعالي، لا ينفک عن وجوده قدرته و علمه ينشأ بها الاراده. فالارادة من لوازم العلم. فلو لم يعلم احد لم يقدر ان يريد شيئا. فاذا اراد الله تعالي انشقاق القمر لابد له تعالي ان يتسبب بشيئ غير الاراده ينشق بها القمر. فانا اذا اردنا ان ننشق تفاحة او رمانا و غيره نتسبب بآلة کالسّکين نقطع بها التفاحه، و ثبت انه تعالي لا يحتاج الي مثل هذه الالات لاحاطته بظاهر القمر و باطنه. لاکنه تعالي لا يشقق القمر بنفسه ان يجعل نفسه سببا لانشقاق القمر بل لابد ان يکون ما ينشق به القمر سببا غيره، لانّ انشقاق القمر کصنايعه فعلٌ من الافاعيل و خلقٌ من الخلايق. فلابد له من سبب به ينشق القمر کما لابد له من مواد به يصنع القمر. فما هي السبب التي بيد الله تعالي ينشق القمر بارادته؟.

فنقول هناک ننظر الي ما صنع به القمر. صنع القمر بمواد جمعها الله تعالي و اوصل بعضها ببعض فرکمه و جمعه بهذه الصوره، فيه التراب و الاحجار کمثل ما علي وجه الارض. ولکن المواد الاوليه کانت منفصلة بعضها عن بعض و الانفصال من خواص الماده اذ هي في ذاتها ذرات منفصله يجمعها الله تعالي و يجعلها متصلا فيظهرها علي اي شکل يريد. و اذ کانت المواد في ذاتها منفصله بعضها عن بعض لابد لمن يريد ان يجمعها فيتصل بعضها ببعض من سبب يتسبب بها لاتصال المواد، و هذه السبب هي القوة التي جعلها في المواد، يمسک بعضها بعضا. فکما ان الله تعالي بهذه القوه التي يعبر عنها بالجاذبه يمسک بعض المواد ببعض فبهذه القوه ايضا يجعل المواد منفصلا بعضها عن بعض. فبالقوة التي هي في ذاتها نور مجرد يمسک بعضَ المواد ببعض و بهذه القوه ايضا ينفصل بعضَها عن بعض. فما به يظهر الاتصال، به يظهر الانفصال. فالاتصال بين المواد و الاملاح الترابيه و الحجريه و غيرها يقع بقوة جاذبة ممسکة بعضَ المواد ببعضها، کما في المغناطيس و الکهربا تراه تجذب مواد الحديديه و يتصل بها. فاذا اراد الله تعالي ان يشق جسما فينفصل بعضها عن بعض يسلخ منه هذه القوة الجاذبه الممسکه، فينشق و ينفصل. فاذا اراد الله تعالي ان يجعل هذا الامر بيد النبي صلي الله عليه وآله يجعل هذه القوه بيد النبي فيفعل بها ما يشاء؛ کما جعل روح الحيوة بيد عيسي ابن مريم عليه السلام يحيي به الاموات. فانه تعالي علي کل شيئ قدير.

فان تريد ان تحس هذه القوة في وجودک فانظر الي ارادتک و تحرک اعصابک و اعضائک به. فانک تمدّ اَناملَک اليک؛ فما هذا الذي تمدّ بها اناملک اليک و تحرک بها يديک و رجلک هذه قوة مجرده في الاعصاب کقوة الکهرباء في المکائن و السيارات فاذا اتّسعتَ هذه القوه فيک تقدر ان تحرک بها کل شيئ من مکانها في السماء و الارض. فهذه القوة الشديده بيد النبي و الامامِ عليهم السلام يحيط بها النبي و الامامُ علي ما سوي ربهم من الکائنات وعلي اجرام في السموات؛ بها يقدرون ان يفعلوا ما يريدون. و هذه القوه يتصل بالقمر في باطنها و ظاهرها، يقدر النبي (ص) ان يشق بها القمر باذن الله. فانشقاق القمر من الممکنات لا من الممتنعات.

و بعد اثبات امکان انشقاق القمر بقوة يجعله الله بارادة النبي نقول يظهرمن هذه السوره ان انشقاق القمر وقعت بيد رسول الله (ص) و انها من معجزاته تدل عليه هذه الاية والروايات.

شرحٌ في بيان ما يحصل به القوةُ للاراده:.

فنقول لا شک و لا ريب ان الارادة ينشأ من النفس، و نفس الانسانيه علي ما تقوله الفلاسفة و اهل العرفان مجردةٌ في ذاتها و انها في وحدتها کلُ القوا. فتقول الفلاسفة و اهل العرفان بان النفس لا تکون ماديه نشئت من المواد کالبدن. فان البدن ماديةٌ جسمانيه تتکون بالمواد و الذرات، و النفس قوةٌ مجرده من جنس الروح، ليست بماديةٍ جسمانيه کالبدن. فاذا کانت النفس قوه مجردة فالمجردات لا تتناهي في وجودها. ان المجردات کالارواح و الملائکه ليست في ذاتها محدودةٌ کحدود الاجسام و المواد بل هي في ذاتها غيرُمحدوده. فاذا کانت النفس قوة مجردة غيرماديه و غيرمحدودة في ذاتها و وجودها، فهي محيطة بکل شيئ في باطنها و ظاهرها، ينفذ من اقطار السموات و الارض و ينفذ في باطن الاجسام و المواد و الذرات، کالروح ساريةٌ في البدن. فاذا کانت النفس هکذا قوة شديده تنشأ منها الاراده، فيقدر الانسان بارادته ان يتصرف في کل شيئ و في کل جسم في السماء و الارض، کما يتصرف بارادته في اعضائه وعضلاته.

و بيان اخري من الفلاسفه هي ان الفلاسفه کلهم يقولون بانه لا حقيقة لشيئ في العالم الا الوجود. فيقولون ان الوجود واحده في ذاتها و حقيقتها، ثم تتکثر بالحدود و المهيات و الاعتبارات. و انهم يقولون الوجود واحده بسيطه في ذاتها، ليس في الکون غيرها، و هذا الوجود تتکثر بالحدود و الاعتبارات؛ کما ان الماء جنس واحد تکثر بالقطرات ولا يزيد بهذه الکثره في القطرات علي الماء شيئ. فالماء جنس واحد، و مظاهره کثيره، بلا زيادة في هذه المظاهر علي الماء. و کذلک المادة جنس واحد و مظاهره کثيرة في الارض و السماء، و لا يزيد بهذه الکثره علي الماده شيئ. کذلک الوجود.

و يقولون ان الوجود في الحقيقه هو الله تعالي يتجلي بجلوات کثيرةٍ قوية و ضعيفه و النبي هو المُجلّي الاَتم. فهو صلي الله عليه وآله و سلم محيط علي القمر، فبارادته يجعله نصفين.

فلو فرضنا ان الماده التي تتکون منه کل شيئ من الماديات و الجسمانيات شاعر عاقل في ذاتها ولا يعزب عنه شعوره و علمه بتکثره في جلواته المختلفه، فهذه المادة التي هي اصل الجلوات و الکثرات تقدر بعلمه و قدرته ان يفعل في جلواته ما يريد. فيقولون ان الوجود الذي هي اصل کل شيئ و حقيقة في ذاته و وجوده شاعر عالم قادر و لا يتجزي و لا يتبعّض قدرتُه و علمه بتکثره في جلواته المختلفه. فکما ان الماء في کل قطرة من القطرات ماء و نورٌ کذلک في کل لمعة من لمعاته نور، کذلک الوجود في کل جلوة من جلواته وجود و في وجوده علم و حکمه و شعور و ادراک. فاحسب ان القمر قطرة من قطرات بحار الوجود و هذه القطره في مرتبه نازله جِدّاً بعد مرتبة وجود النبي و الولي. و النبي و الولي اولُ جلوةٍ من جلوات الوجود، ثم بعد وجود النبي و الولي جلواتٌ کثيره من العقل و النفس و الافلاک و الکواکب و الاقمار. فالقمر قطرةٌ من بحر ينتهي الي بحر وجود النبي و الولي. فکما ان القطرة بيد البحر، يفعل البحر بها ما يشاء، کذلک هذه القطرة و هي القمر مرتبطة متصلة ببحر وجود النبي و الولي، يفعلان بهذه القطره ما يشائون کما تفعل باَناملِک و اعضائِک ما تشاء.

فعلي کل هذه المذاهب تکون انشقاق القمر ممکنا بيد النبي و الولي و لا يکون من الممتنعات. و اما علي حکمة القرآن علي ما يقول، انّ ما سوي الله خلقٌ و صنعٌ بارادة الله تبارک و تعالي، لا يشابه هذه الخلايق بوجودها و مهيتها وجودَ الله تعالي. فنقول ان الخلايق کلها صنايع الله تعالي ولابد لکل مصنوع من علل اربعه، لو لم يکن واحد منها لم يقع المصنوعُ و يمتنع وجودُه. الاولي: الصانع الذي يصنعها و هو العله الفاعليه. الثاني: المواد التي يصنع بها الصنايع و يعبّرعنها بکلمة "بم". باي شيئ صنعةُ البيت و باي شيئ صنعهُ السيارات؟

و بتعبير اخري يشبه علة الماديه بتعابير الفلاسفه الوجودَ الذي يوجد به الموجود؛ لانه لکل موجود من وجودٍ بنظر الفلاسفه، کما انه لابد لکل مشتق من مصدر. فاحسب ان الباب موجود و وجوده الخشب، و ان البناء موجود و وجوده التراب، او ان الثوب موجود و وجوده القطن و الصوف و غيرها، و الاجسام موجود فوجودها المواد؛ و المواد بمنزلة المصدر و الاجسام بمنزلة المشتق. فلابد لکل موجود من علل ماديه يوجد بها الموجود.

الثالثه: العلة الصوريه و هي الکيفيه التي يصنع عليها المصنوع. الرابع: العلة الغائيه و هي الفائدة التي يستهدفه الصانع؛ کالثمرة لغرس الشجره. فلو کان الوجود الذي يظهر بها المهيات واحد او هو في وحدته عين الله تعالي لبطل الصنعه، لان هذه الوجود في حال کونه فاعلا و خالقا و في حال العله الفاعليه تکون العله الماديه، و في حال کونه العله الماديه تکون العله الصوريه، و في حال کونه العله الصوريه تکون العله الغائيه، و هو في حال کونه خالقا يکون مخلوقا و في حال کونه مخلوقا يکون خالقا!؟ فما احسن ما يقول مولانا اميرالمؤمنين في ردّ ان يکون الله مبدأ للخلايق و معادا لهم، و في ردّ من جعل وجود الله ما يبدأ منه وجودُ الخلايق: "کيف يبدأ منه ما هو اَبداه و يعودُ فيه ما هو اجراه؟ اذاً لتجزّي ذاته و لاَمتنع من الازلِ معناه"[[10]](#footnote-11) فينکر مولانا ع) علي ان يکون وجود الخالق مبدأ لوجود الخلايق او معادا لهم اذا رجعوا اليه. فاحسب ان البحر وجودٌ لما يخرج منه من المياه و البخارات و القطرات و الثلج و الجمد و البرد و غيره مما يخرج من البحر. فهل يمکن لک ان تجعل البحر علة فاعليه لما يخرج منه؟ او عله صوريه او علة ماديه او عله غائيه؟ فحينئذ يکون البحر فاعلا لنفسه و هو المياه، و مصورا لنفسه و ماءً لنفسه و ثمرةً لنفسه من نفسه! فکيف يمکن ذلک؟ فلو جعلت الماء عله فاعليه لمياهٍ خرج منه فلا يمکن ان يکون عله ماديه و صوريه و غيرذلک، لانه لم يزد علي الماء شيئ من صورة المائيه و غيرها، لانه کان في نفسها ماءٌ و صورةٌ مائيه. فيکون اعتبار الشيئ لهذا الماء من قبيل تحصيل الحاصل. فلو جعلنا الوجود مبدأ لما يخرج منه فکيف يمکن ان نقول انما خرج من الوجود غير الوجود، حتي يکون هذا الغير مخلوقا و هو خالقٌ؟ او يمکن ان يقال خلق الله الخلايق لانه لم يزد علي وجوده شيئ ليکون هذه الشيئ مخلوقا له وهو خالق. فلابد ان نترک الله تعالي فارغا عنه و نطلب ما خلق في العالم.

فانه تعالي کان في الازل و يکون الي الابد، کان و لم يکن معه شيئ، فاراد ان يخلق الخلق. فانظر الي ما يفعل الله حين اراد ان يخلق خلقا کما يقول: "کنتُ کنزاً مخفياً فاَحببتُ ان اُعرفَ فخلقتُ الخلقَ لکَي اُعرف" فلا يکن الخلق خلقه الا ان يکون غيرَه و يکون مخلوقا بوجوده و صورته و ثمراته. فلو بدأ هذا الخلق من وجوده تعالي فما الذي زاد علي وجوده تعالي حتي يسمي هذه الزائده خلقا و هو الخالق؟

فنقول يحکم العلل الاربعه( الفاعليه، الماديه، الصوريه، الغائيه )علي ان يخلق تبارک و تعالي اصولا اولا و يجعلها مادة خلقه، يبدأ منه مخلوقاتَه ثم يعمل في هذا الاصول ما يريد من الترکيب و التصوير و التقدير علي ما يقتضي حکمته تبارک و تعالي. فالاصول الاوليه التي خلقها لا من شئ و ابدعها من غيرسابقه هي الماده و النور، اذ يحکي عنها في کتابه بجعلٍ بسيط. و الجعل البسيط بمعني خلق الشيئ لا من شيئ. يقول في سورة الانعام: "الحمد لله الذي خلق السموات و الارض و جعل الظلمات و النور"

و الظلمات في هذه الايه هي الماده اذ الماده في ذاتها ظلمة يستضيئ بالنور، و النور هي الاصل الذي يستضيئ بها الماده. فهذان الاصلان اللذان خُلقا لا من شيئ هي الاصول التي يصنع الله بها صنايعه، و من صنايعه القمر. فجِرم القمر اُخذت من المواد، و ما فيها من النور و القوه، استمسکت بعض موادها ببعض اُخذت من اصل النور. فکما ان جرم القمر استمسکت بالنور و هي القوه الجاذبه في موادها، کذلک تنفصل و تنشق جرم القمر بهذا النور. فيجعل الله تعالي هذا النور و القوه الجاذبه الممسکه بارادة النبي فيشق بها النبي القمر لانه لابد من ظهور کل فعل من سبب يتسبب به الي ظهور هذا الفعل، و انشقاق القمر فعل من الافعال. فلابد ان يکون بيد النبي سببٌ يتسبب به الي الانشقاق و هذه السبب لابد ان يکون شيئ بيد النبي يصل به الي القمر من وجه الارض. فما هي هذه السبب المتصل؟ فهي من جنس النوراو القوه التي يتقوي بها کل جسم و کل ماده، و هي نور قوي يتصل بارادة الانسان.

و من جنس هذه القوَي التي تسمي بالقوة الجاذبه ما يسقط به الحجر من السماء. فتري الحجر يتساقط من السماء الي الارض. فما للحجر يهوي من السماء الي الارض ولا يهوي الي جانب اخري؟ فلابد من سبب بين الارض و الحجر في السماء يجرّ بها الي الارض، و هذه السبب هي القوة المتصله بالارض، المنبسطة في السماء، تجُر الارض بهذه القوة البسيطه الحجرَ و کلَ جسم مثله اليه. فلو کان بيد النبي (ص) قوه مثل هذه القوه يقدر به النبي ان يفعل بهذه القوه فعله في کل ما يناله بهذه القوه. فلو کان قوة التي جعله الله في الارض تجر به الاجسام من السماء اليه بيد انسان، يقدر ان يجر به جسما من السماء الي الارض او الي مکان اخري.

دلالة هذه السوره علي وقوع انشقاق القمر و انها من معجزات رسول الله (ص):

فنقول بعد بيان امکان انشقاق القمر ان هذه الايه تدل علي وقوعها بيد النبي(ص) و انها کانت من معجزات الرسول فانکرته رجال من قريش و قالوا انها: "سحرٌ مستمرٌ"

**الايه 2- و اِن يروا آيةً يعرِضوا و يقولوا سحرٌ مُستمِرٌ.**

ولو کان انشقاق القمر من علائم القيامه کانشقاق السماء حيث يقول "اذا السماء انشقت" او تشقق الغمام کما يقول "و يوم تشققُ السماءُ بالغمام و نُزلَ الملائکه تنزيلا" لم يکن ليقول قومٌ بانها سحر مستمر. فما اکثر ما يخبر الله تعالي من علائم وقوع القيامه کانشقاق السماء و تشقق الغمام و دک الجبال و زلزلة الارض و انفجار البحار و غيرها مما هي من المعجزات بارادة الله و سمع الناس هذه الايات و لم يقولوا انها سحر، لانها اِخبارٌ بالوقوع و لم يقع، کالاِخبار بِبعث الاموات. فلو اخبر نبي بانه يبعث الاموات يوم القيامه لا يقال عليه احد بانه ساحر سحر اعين الناس ولکن لو اَحيا نبي ميتا ينکره الناس و يقولون انها سحر مستمر.

فالايه الثانيه في هذه السوره دليل واضح علي وقوع انشقاق القمر و انها کانت من معجزات النبي (ص) فانکرته قريش و قالوا انها سحر مستمر.

الاشارة علي القيامه و خروج الاموات من قبورهم:

البحث السابع في ما نري ان الله تعالي جعل انشقاق القمر ملازما لاقتراب الساعه او علامةً لها، فقارن بينهما و قال "اقتربت الساعه و انشق القمر" فما هي دليل هذه المقارنه و الملازمه؟ فنقول لا يبقي لنا شک فيما روي لنا من الاخبار و الاثار ان الساعه ملازمةٌ لظهور الاسلام. يقول رسول الله(ص): بُعثتُ انَا و الساعه کهاتين؛ و قارن بين اصبعيه. فظهر لنا من هذا الحديث ان الساعه و البعثه متلازمان حيث قرن رسول الله بعثته و نبوته بالساعه. و انشقاق القمر يقارن رسول الله بالنبوه اذ لو لم يبعث و لم يدّعِ النبوه لم يکن احد يطلب منه انشقاق القمر. فانشقاق القمر من لوازم بعثته صلي الله عليه وآله و بعثته من قرائن الساعه و لوازمه. فيجب من ذلک ان لا يکون بين البعثه و الساعه شيئ اخري ينفصل به الساعه عن البعثه. و اذا قلنا ان بعثة عيسي روح الله او بعثة موسي کليم الله من لوازم الساعه، يتصل هذان البعثتان بالساعه، لا يکون کذلک؛ لان بين بعثة عيسي و الساعه لابد من حادثه اخري عظيمه وهي بعثة رسول الله و ظهور الاسلام. فينفصل بظهور الاسلام بعثه عيسي عن الساعه و کذلک بعثة موسي و ساير الانبياء. ولکنه لا يکون بين بعثة رسول الله و ظهور الساعه حادثه ينفصل بها البعثة عن القيامه. ولئن قلت اخبرت الائمه بقيام القائم بعد رسول الله و هي حادثه عظيمه لا يکون مثلها حادثه، ينتهي به زمان النبوه و يبتدأ به قيام الامامه و الولايه، فينفصل الساعه عن البعثه بقيام القائم، قلنا في جوابک اخبرت الائمه عليهم السلام في روايات کثيره مجموعه في کتاب البحار و کتاب "الزام الناصب في اثبات حجة الغائب" بان قيام القائم عليه السلام يختم بقيامه الحيوة الدنياويه و يفتتح بقيامه الحيوة الاخره، وانه عليه السلام انما يقوم ليجازي الناس و يحاسبهم علي اعمالهم. و اليک بمطالعه هذا الکتاب؛ تري فيها ان الائمه عليهم السلام فسرت ايات الساعه و القيامه کلها بقيام القائم. فاذا کان قيام القائم هي القيامه ينتهي به زمان البعثه و النبوه و يفتتح به الحيوة الاخره فيظهر بقيامه برهان قول الرسول صلي الله عليه وآله حيث يقول: "بعثتُ انا و الساعه کهاتين" فاخبربملازمه الساعه البعثه. و هذه الحديث ايضا دليل اخري لما فسرنا بانه يقع القيامه بقيام القائم و اذا کان قيام القائم هي القيامه و انشقاق القمر من دلائل النبوه و البعثه فيخبر الله تعالي بملازمه البعثه و القيامه، فيقول "اقتربتِ الساعه و انشقّ القمر" فانشقاق القمر و ان کان ايه من ايات النبوه و البعثه، يکون ايضا من علائم اقتراب الساعه. و في حديث اخري يقول الامام عليه السلام "يظهر في آخرالزمان و حين اقتراب الساعه نساء کاشفات عاريات" فيجعل ظهور هذه النساء من علائم اقتراب الساعه. فکما ان انشقاق القمر من ايات النبوه و دلائل الاعجاز يکون ايضا من دلائل اقتراب الساعه فکان يجب علي الناس بعد ما رأوا هذه المعجزه ان يؤمنوا برسول الله صلي الله عليه وآله و يطيعوا ربهم بانه معجزه لم يکن لها سابقه في سنّة النبوه و الانبياء؛ لان معجزات الانبياء من السلف کان علي ما وجه الارض من احياء الموتي و ابراء الاکمه و الابرص و غيرذلک من اِخبارهم بما کان في بيوت الناس و لم يعرف لنبي معجزه مثل هذه المعجزه ان يتصرف في اجرام السماء کما يتصرف فيما علي وجه الارض. فکان الناس يظنون ان المعجزات فعل الانبياء و لم يشعروا بانها فعل الله تبارک و تعالي يظهر بيد الانبياء. يظنون ان عيسي هو الذي يحيي الموتي و يبرء الاکمه و الابرص، و کذلک يظنون ان موسي(ع) هو الذي يشق البحر و يجوز ببني اسرائيل و هو الذي يقلّب عصاه ثعبانا مبينا. فلم يشعروا بانها فعل الله تبارک تعالي. ولکن مثل هذه المعجزه ان يتصرف نبي في اجرام السماء و يشق القمر و يجعلها نصفين، نصف في المغرب و نصف في المشرق برهان واضح علي انها فعل الله تعالي بدعاء النبي صلي الله عليه وآله فکان يجب عليهم ان يؤمنوا بالله العظيم ولکنهم کما يقول الله تعالي:

**الايه 3- و کذّبوا و اتّبَعوا اهوائَهم و کلُ امرٍ مستقرٌ**

فيخبر الله تعالي في ذيل الايه الشريفه بان کل امر و کل حادثه و کل عمل صالح او غيرصالح مستقِر ثابت في علم الله تبارک و تعالي و في علم المؤمنين. و هذه الايه نظير قوله تعالي: "لکلّ نبأٍ مستقرّ فسوف تعلمون"[[11]](#footnote-12) فيخبر بان الحوادث في متن العالم کالاموات ينتقلون من دار الي دار و لا يفنون و لا يموتون. فاذا بعث الاموات من قبورهم بعث معهم انبائهم و امورهم من اعمالهم الصالح و الطالح. فکل امر مستقر ثابت في العالم، لا يفني و لا يزول.

و لک ان تقول کيف يظهر الاعمال مع الاموات و هي افاعيلٌ ظهرت و نفَت في زمانها و الافعال کلها حرکات و سکنات يبدء و يزول، و لا يکون البادي مثل الزائل؟ او نقول الافعال کالکلمات يتکلم به المتکلم فيفني. فکيف يظهر المنفيات من الاعمال و الافعال؟ و اذا ظهر يکون فعلا و عملا اخر يشبه الفعل الاول و لا يکون عينه. فکيف يکون الحوادث و الافعال مستقرا ثابتا في متن العالم؟.

قلنا في جوابک اما الافعال کلها في زمان حدوثها يتحول اعمالا، و العمل نتائج الفعل. فاذا مدحتَ احدا او شتمته يفني کلامُک في زمانه و يبقي ما ينتج فيمن مدحته او شتمته من عداوة او محبة. فيعدوک الرجل او يحبک. و کذلک اذا احرقت احدا او قتلته يذهب فعلک و يبقي نتيجته من قتل المؤمن او حرقه، و هذه القتل او الحرق يسمّي عملا. فاذا بعث المقتول او المحروق من قبره يوم القيامه يبقي عليه اثر الحرق و القتل فيرجع هذه الاثار الي القاتل.

فنقول الافعال حرکاتٌ و سکنات يفني في زمان حدوثها و يبقي نتائجها، و يسمي هذه النتائج اعمالا. فيجازي الله تعالي صاحب العمل بنتائج اعماله. و النتائج اثر الافعال و ان لم يکن عينها. يقول الله تعالي: "ليجزي قوما بما کانوا يکسبون" "ليجزي الذين اسائوا بما عملوا"[[12]](#footnote-13) و لذلک يحکم علي القاتل بما ظهر به من اثار فعل القتل و لا يقدر القاتل ان يقول انما انا رفعت سيفي و اوقعته عليه و ما قتلته. فالافعال باقية بالاعمال کما يقول "و کل امر مستقر".

و يمکن ان يکون الايه "و کلُ امرٍ مُستقِرٌ" بنصب الکل، ان يکون معطوفا علي کذبوا، کاَنّ الله تعالي يقول يتبعون اهوائهم و يکذبون کلَ امر مستقرٍ ثابتٍ!؟. و ذلک لان اهل الباطل يتبعون الاباطيل و الاباطيل امور غير واقع او غير ثابت، و هي خلاف الحق فانها امور واقع ثابت. فاهل الحق کما هم حق ثابت يتبعون کل حق ثابت مستقر في العالم و يستيقنون بان الحق لا يزول عن مکانه في الدنيا و الاخره. فهم يتبعون کل حق مستقر او کل امر مستقر، و کذلک اهل الباطل. فهم کانفسهم کاذب يتبعون الاکاذيب و لا يتبعون کل امر مستقر ثابت. فکما انهم يکذبون الله تعالي و هو حق ثابت و يکذبون الانبياء و هم امورمستقر ثابت و يکذبون احکام الله و دينه و هي حقايق ثابته و اهل الحق يصدّقون کل امرمستقر ثابت. فاذا قرأنا الکلَ بالرفع فهي اِخبارٌ بان کل امر في العالم مستقر ثابتٌ. فاهل الباطل يکذبون الامور الثابته، و اذا قرأناه بالنصب يدل علي ان اهل الباطل يکذبون کلَ امر مستقر ثابتٍ، و لعل القرائة بالنصب اجمع للمعاني من القرائة بالرفع، لان القرائة بالرفع اِخبار عن استقرار ولا يدل علي تکذيب المکذبين ولکن القرائة بالنصب يدل علي استقرار الامور و تکذيب المکذبين.

ثم يخبرهم لتأکيد قول الله عليهم بانه:

**الاية 4 و 5- و قَد جائَهم مِن الاَنباءِ ما فيه مُزدَجَر. حکمةٌ بالغهٌ فَما تُغنِ النُذُر.**

و ذلک لان کل ما قوي علمُ الانسان بالاحکام قوي قولُ الله علي المکلَفين. فمن جهل حکم الله تعالي و کان قاصرا في جهله، لم يتذکر العلم او تذکّر و لم يتمکّن من التعلم، يعفي عنه يوم القيامه لانه لم يقدرعلي التعلم. و من تذکر حکم الله و قدر علي التعلم و لم يتعلم، حکَمَ عليه بترک التعلم؛ يقال له يوم القيامه هلاّ تعلمت. ومن تعلم جزءً من مأة اجزاء العلم حکم عليه بجزءٍ من مأة اجزاء الحکم، و جزائه کذلک. کل ما قوي علمه اشتد جزائه حتي استيقن بحکم الله قوي حکم الله عليه. فمدار حکم الله للانسان او عليه علمُ الانسان و ظنُه و شکُه و جهلُه، قاصرا کان او مقصرا.

و لذلک يحکم الله عليهم في هذه الايه و يقول جائهم من الانباء ما فيه مزدجر، ثم يؤکّد هذا المجيئَ بقوله: حکمة بالغه، يعني بذلک ان حکمه الاحکام و هي الفساد او الصلاح بلغهم لکنهم لم يستغنوا بالنذر عن عذاب الله. و هناک في هذه الايه لطيفة شريفه عميقه. فان الله تعالي يقول "حکمةٌ بالغه" و لم يقل: حکمٌ بالغ. فان الحکم يبلغ بالانبياء و الاوصياء يبلّغون احکام الله تعالي و يقولون مثلا الخمر و الخنزير حرام و الصلوة و الزکوة واجبه و ساير الاحکام. و الحکمه هي ملاک الاحکام و لا يعلمه الا الله و الراسخون في العلم. و حکمة الاحکام هي الفساد و الصلاح التي ينتجه الاحکام. فينتج شرب الخمر و لحم الخنزير مفاسد لا يعلمها الا الله. او من شَرب الخمر يشرب فيسلب عنه عقله و يترک الصلوه فيغفل عن ربه الي ان ينسي ذکر ربه. کذلک يترک الزکوة فيظلم الفقراء فيعدونَه بظلمه و لا يحبونه، و غيرذلک. فما من حکم عبادي الا و فيه فساد او صلاح؛ هي ملاک الاحکام و هي حکمة الاحکام. فان اکثر الناس يبلغهم الاحکام بتبليغ الانبياء و الاولياء و لا تبلغهم حکمه الاحکام. فان الانبياء و المبلّغين يبلّغون احکام الله بلا بيان حکمة الاحکام. فهذه الايه تدل علي ان اهل المعصية بلغوا فساد و الصلاح بعصيانهم و تضرر من المعاصي فبلغهم حکمة الاحکام و مع ذلک لم يترکوا المعاصي فضرر المعاصي الذي يبلغه العاصي حکمة بالغهٌ فما اعمهم و اصمهم اذ تضرروا بالعصيان و الطغيان و لم يترکوها.

ومن لطائف هذه الايه "حکمة بالغه فما تغن النذر" ان الله تعالي يخبر عن المجرمين بانهم في مسير اعمالهم و اخلاقهم و احوالهم ذاقوا المفاسد و المصالح من الخير و الشر ولکنهم عاهدوا انفسهم علي ان لا يفعلوا الا شرا او خيرا برياء و سمعة. فهم کما يقول الله تعالي في ايه من سورة البقره "و من الناس من يعجبُک قولُه في الحيوة الدنيا و يشهد الله علي ما في قلبه و هو الدّ الخصام. و اذا تولّي سعي في الارض ليفسد فيها و يهلک الحرث و النسل و الله لا يحب الفساد"[[13]](#footnote-14) يخبر الله تعالي عن هذا المجرم بانه يسعي في حکومته و ولايته و في اعماله و اقواله ان يهلک الحرث و النسل و انه ليعلم اذا اهلک هذين الاصلين هلک هو و اولاده و ماله و ثرائه معهما و يعلم ما يظهر من هلاک هذين الاصلين و هما الحرث و النسل انها اذا بقيتا بقيت الحيوة و اذا ذهبتا ذهبت الحيوة لکنه مع هذا لا يرجع عن غيه و لا يدع ظلمه و شره يظن ان دوام حکومته و ولايته يتوقف علي افناء الناس و ذهاب الحيوة. فمثل هذا الرجل و من يتبعه في ولايته و حکومته هم الذين ذاقوا مفاسد شرورهم و هوي انفسهم و هي الحکمة البالغه لما قلنا بان الحکمه ملاک الاحکام و هو مصلحتها و مفسدتها مما يبدء بها و منها احکام الله تبارک وتعالي. و ان الله تعالي اذا حکم مثلا بترک الخمر و الميسر يترکه المؤمنون علي ما امرهم الله ولکن لايدرون لما ذا حکم الله بذلک. هل منعهم من خير فيهما او شرٍّ بهما و اما اذا شرب الخمر احد او عمل الميسر يذوق بهذا الاعمال مفسدة الخمر و الميسر فيعلم عله ما حرم الله تعالي الخمر و الميسر فيبلغه الحکمه ولکن لا يترکها.

فيأمر الله تعالي رسوله بعد بيان الحکمه البالغه و رفع العذر باتمام الحجه علي الکفار و المنافقون ان يدعهم رسول الله و يتولي بنفسه عنهم يعرض عنهم و يترکهم في غيهم و ضلالتهم الي يوم يدعوهم داعي الله الي شيئ نکُر و هو عذاب الله.

**الاية 6- فتَولّ عنهم يومَ يدعُ الدّاعِ اِلي شيئٍ نُکُر.**

فکانّ الله تبارک و تعالي اوجب عليهم العقاب و العذاب بما خالفوا رسوله. فدار الامر هناک بين عذابين يستحقونه بعصيانهم و کفرهم؛ اِما عذاب الله، فينزل عليهم رجزا من السماء يبيدهم و يهلکهم عن وجه الارض کما فعل ذلک بقوم عاد و ثمود و قوم فرعون و اخوان لوط لمّا اَکثَروا الفساد علي وجه الارض انزل الله تعالي عليهم سوط عذابه. فبعض اهلکهم بصاعقه و بعض بريح صرصرعاتيه و بعض بزلزال الارض، جعل عاليها سافلها و بعض اغرقهم في البحر.هذه الانواع من العذاب ينزل بارادة الله تعالي علي قوم فسدوا و افسدو او خرجوا عن طاعة الله الي طاعة الشيطان و اهلکوا عباد الله. و هناک نوع اخري من العذاب يظهر الکافرين و العاصين بايديهم فينقلبوا في عذاب اخرجوها باعمالهم.

فان الکفر و العصيان صراط الي عذاب الله في العالم. ان الله تعالي خلق في الارض و السماء نارا و بخارا و قُوي اخري و حرارة من النيران يزلزل بها لو شاء الارض و السماء و يهلک بها الکافرين. و الکافرون سلکوا بکفرهم و اعمالهم الي کشف هذه النيران و ساير القوي خلقه الله تعالي في العالم ليقووا بذلک القوي علي اِذلال عباد الله و اهلاکهم، کما تريهم صنعوا لانفسهم القوي الناريه و اسلحة الحرب من البنادق و المکائن و الطيارات و الموشکات و غيرذلک. و من اکبرهذه القوي المواد الناريه کمثل الاتم و غيرها، وصفه الله في کتابه بنار الکبري. کشفوا هذه القوي ليهلکوا بها عباد الله فيهلکون بها انفسهم ايضا کما يهلکون بها عباد الله المؤمنين. فيصلون بهذه الاعمال و الحرکات و الکشفيات و الاختراعات الي نار جحيمهم. فيوقدونها في افنيتهم و اعمدتهم و منازلهم، کما يقول الله تعالي: "انها عليهم مؤصده في عمد ممدده"[[14]](#footnote-15) فاذا اشعلوا علي انفسهم هذه النيران ابادهم الله تعالي عن وجه الارض و يعذبهم بعذاب صنعوها بايديهم، و حينئذ ينتهي الحيوة الدنيا و يبدء حيوة الاخره. فاذا افتتح حيوة الاخره قام القائم انشاءالله يدعوهم الله تعالي من قبورهم کما يقول: "ثم اذا دَعاکم دعوةً مِن الارض اذا انتم تَخرجون"[[15]](#footnote-16) فيبعث الله تعالي الاموات من قبورهم يسلکوا بهم الي عذاب صنعوها بايديهم و هذه العذاب هو شئ النکر في هذه الايه.

و يخبر الله تعالي عن خشوع ابصارهم حين اذ بعثوا عن قبورهم کانهم جراد منتشر.

**الاية 7 و 8 - خُشّعا ابصارهم يخرُجون من الاَجداثِ کانّهم جَرادٌ مُنتشِر. مُهطِعينَ الي الدّاعِ يقول الکافرون هذا يومٌ عَسِر.**

و خشوع الابصار يحکي عن عظمة الاهاويل و المهالک في يوم القيامه. فان الناس حين اذ خرجوا عن قبورهم يظنون انهم استيقظوا عن نومتهم، کما ينامون ليلا و يستيقظون نهارا. انهم في حيوتهم الدنياويه يطلع عليهم الشمس و القمر، يواجهون رؤسائهم و شرکائهم الذين کانوا يدعونهم و يلجيئون اليهم. فيرون ان الحيوة يوم القيامه غير الحيوة في الدنيا. يطلع عليهم الشمس و القمر عن مغربها. يرون من عظائم هذا اليوم ما لا عينٌ راَت و لا اذنٌ سمعت و ما خطرَ علي قلب بشر. يرون الناس يخرجون عن قبورهم ينظرون الي يمينهم و شمالهم. يرون کل الناس حياري و سکاري لا يعرفون احدا و لا يلجئون الي احد. ليس لهم بيت يسکنونها و لا لباس يلبسونها و لا طعام يأکلونها و لا ماء يشربونها. فيرون من عظمة الله و عظائم يوم القيامه ما لا يحتملونها کانهم شموع ضعيفة ضئيله قبال شمس. فيخشع ابصارهم و ينتشرون کالجراد تقطع بهم الاسباب و الوسايل الدنياويه. انقطع الاباء من ابنائهم و الابناء من ابائهم و الاخوان من اخواتهم، ما بقي لهم و فيهم عمل و رجاء الا ما يرجون من الله تبارک وتعالي. فيعسّر اليوم علي الکفار اذ ليس لهم ملجأ من الله تعالي و اوليائه و کانوا لا يعرفون ربهم و لا نبياً من الانبياء و لا مؤمنا من المؤمنين المتقين. فليس لهم ملجأ و لا مأوا کما يقول الله تعالي: "و لا صديقٍ حميمٍ" يشفعونهم الي الله تبارک وتعالي، ينقطع بين الفرقتين: "فريقٌ في الجنة و فريقٌ في السعير"[[16]](#footnote-17).

الاشارة الي نوح النبي عليه السلام و ظهور الطوفان و کيفية وقوع الطوفان بانها کانت معجزه.

ثم يخبر الله تعالي عن قوم نوح و ما فعلوه بنبيهم يقول:

**الاية 9- کذّبت قبلَهم قومُ نوحٍ فکَذّبوا عبدَنا و قالوا مجنونٌ وازدُجِر.**

فاذوه و زجروه زجرا عظيما الي ان لجَأ الي ربه من اذي قومه و قال اني مغلوب فانتصر لي و انتقم من الکفار

**الاية 10- فدعا ربَه اَني مغلوبٌ فَانتَصِر**.

و يخبر الله تعالي انه فتح ابواب السماء بماءٍ منهمر و فجّر الارض عيونا.

**الاية 11 و 12- فَفَتحنا ابوابَ السماءِ بِماءٍ مُنهَمِر و فَجّرنَا الارضَ عُيوناً فَالتقَي الماءَ علي اَمرٍ قَد قُدر**.

فيخبرعن ماء السماء و ماء الارض بانهما ليستا کالمياه المعموله ينزل من السماء و ينفجر من الارض وان هذه المياه يجتمع في السماء من البخارات فيتراکم و ينزل بصورة المطر ثم ينفجر ما نزل من السماء من العيون، و ليس هذه الامطار بمقدارٍ ينشأ منها بحرٌ في البر يفوق الجبالَ و الاوديه کلها؛ و اکثرما يجتمع من هذه المياه المعموله المنزله من السماء انه ينشأ بها سيولا يجري علي وجه الارض ثم يغور في الفلوات. انک تري البراري و الصحاري اعلي سطوحا من البحار. فلا ينشأ في البراري بحرٌ يغرق فيها الجبال. فاذا تراکمت المياه عشرة او عشرين مترا يجري علي وجه الارض و يصُبّ في البحار. فهناک يخبر الله تعالي عن هذه المياه التي غرق فيها قوم نوح. فاما انه تعالي انشأ بحرا في الفلوات غرق فيها خلق کثير و علَت علي الجبال في المنطقه. فمثل هذه البحر في الفلوات ينشأ اِما بخلق المياه في الهواء بکيفية الاِنهمار في الجريان علي مثل الانهار لا بکيفيه نزول القطرات. فکانها انهار جري من السماء الي الارض فاجتمع فيها و اغرق الناس، الي ان جري الي البحار. و اِما يقع مثل هذه المياه بکيفية الطوفان، حيث ينشأ الله الطوفانَ بشدةٍ علي البحار فيجمع البخارات المتراکمه عن وجه البحار، يسوق بها الي فَلات يريد ان ينشأ فيها بحرا. فيمر الطوفان بشدة هبوبها علي وجه البحر يخرج المياه منها و الابخُره الي الفلوات فينقلب ماءً علي وجه الارض ينشأ بها بحرا علي بلد و ما حولها بهبوب الطوفان. فکان الماء تراکمت و اجتمعت علي وجه الارض بهبوب الرياح حولها فکان بحرا في فلات ثم جري الي البحار بعد ذهاب الطوفان.

ثم يخبر الله تعالي عن صُنع سفينةِ نوح و جريه علي الماء بانه صُنع باعيننا و جري باعيننا. **الاية 13 الي 16- و حَملناهُ علي ذاتِ اَلواحٍ و دُسُر. تجري بِاَعينِنا جزاءً لِمَن کانَ کُفِر. و لقد تَرَکناها آيةً فهَل مِن مُدّکِر. فکَيفَ کانَ عذابي و نُذُر.**

فيخبر بان صُنعَ السفينه و جريه في الماء کلها بيد الله تعالي؛ لم تکن قبل ذلک سفينهٌ في العالم يصنعه الانسان و يرکب بها البحر. فکانت سفينةُ نوح اولَ سفينه صنع في العالم بارادة الله تبارک وتعالي و هدايته. فکان الصانعُ السفينه هو الله، و نوح وغيرُه من العوامل. و لذلک کانت ايهً لله تعالي کساير المعجزات و ان خُلقت بيد الانسان. لان الانسان في هذا الزمان و قبلها و بعدها بمدة کثيرة لم يکن يدري کيف يمکن للانسان ان يرکب البحر و يسافر من جهة الي جهة اخري. فينبغي ان يسمّي هذه السفينه امّ المراکب کما سُمّيت الکعبه باُمُ القُري؛ لانه لم يکن يبني قبل الکعبه بيت في العالم من حجر و مدر و اخشاب. فکان آدم اول من بني بيتا للناس ثم عمّرَها ابراهيمُ الخليل بعد خرابها فسُميت الکعبة ام القري، لانه اول بيت وُضِعت للناس فعلم الناس من بناء الکعبه کيفية بناء البيوت بالاحجار و الاخشاب. کذلک سفينة نوح النبي (ع) کانت اول مرکب صُنعت، يسافر بها الانسان علي المياه من جهة الي جهة اخري. لذلک يقول الله تعالي: "*و لقد ترکناها ايةً فهَل من مُدّکر*" يخبر عن فُلک نوح بانها اية من ايات الله. و الايه هي المعجزه و المعجزة هي التي يظهر بفعل الله تعالي و صنعه و ان کان يشبه صنايعَ البشر او يشبهُه صنايعُ الانسان. فهدم الله بالطوفان حيوة الکافرين في هذا الزمان و انجي منها نوحا و من معه من المؤمنين.

ثم يقول تهديدا لساير الکفار: "*فکيف کان عذابي و نُذُر*" انظروا الي عذاب الله کيف يعذب الکافرين، و الي اِنذار الانبياء کيف يصدقون بما ينذرون. فان اخبر نبي قوما بعذاب ينزل عليهم بکفرهم و عصيانهم فهو صادق بانذاره حتما. او اخبر قوما في تبشيره من نعم الله تعالي فهو صادق في تبشيره لانه يبشّر و ينذر عن الله و الله تعالي صادقٌ فيما يقول؛ يحکي عما هو واقع في تقديره.

معني تيسير القرآن للذکر و الاشاره الي قوم عاد و ما نزل عليهم من العذاب.

ثم يقول الله تعالي في اية السابع عشر و يتلوه ايات مثله:

**الاية 17- و لقد يسّرنَا القرآنَ لِلذّکر فهَل مِن مُدّکر.**

يخبر بانه تعالي سهّل الايات و يسّرَها ادراکا و فهما للانسان مع عمقه و غزارته في محتواه. و هذا کما يصف رسول الله آي القرآن بانّ: "*ظاهرُه اَنيق و باطنُه عميقٌ لا تُبلي عجايبُه و لا* *تَنقضي غَرائبُه*".

ثم يخبر عن قوم عاد و قوم ثمود عما فُعل به يقول:

**الاية 18- کذّبت عادٌ فکيفَ کان عذابي و نُذُر.**

فيذکر نبذة عما فعل بقوم عاد لتنبّه القارئين، يقول ارسلنا علي قوم عاد بعد ما کذّبوا نبيهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس عن حيوتهم فکانهم اعجاز نخل منقعر اخرجت من قعر الارض.

**الايات: 19الي 21- انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر. تنزع الناس کانهم اعجاز نخل منقعر فکيف کان عذابي و نذر.**

و يصف هذه الريح في اية اخري بکلمة "العقيم" يقول "*ارسلنا عليهم الريحَ العَقيمَ ما تذَرُ مِن* *شيئٍ اتَت عليه الاّ جعَلتهُ کَالرّميم*"[[17]](#footnote-18) فيصفه بالعقم بما انها مبيد لما يهُبُ عليه. فان الرياح علي ثلثة اقسام، ملطّفٌ، موَلّدٌ، مُعقّم. فالملطّف رياح تهُبّ و تلطف الهواء، يذهب ما في الهواء من الاملاح المضره کمثل الدخان و الغازات و ما ينشئُ من الاجسام المُنتنة المضره. فمثل هذه الرياح ملطّف. و الرياح المولد کمثل الرياح في الربيع، يلقح الاشجار بثمرات فيولدها کما يقول الله تعالي "*ارسلنا الرياحَ لَواقحَ*"[[18]](#footnote-19) و الرياح العقيم او المعقم ما يصفه الله تعالي ما ارسل علي قوم عاد يعقم کل شيئ يهُبُ عليه، او يهلکه و يفنيه. يخرب البيوت و يقطع الاشجار و يخرج المياه عن البحار الي القري و البلاد و يهلک الانسان بما يهبّ عليه بشدة حرارته و جفافه، کرياح السموم في اراضي قفرٍ حارّ و يصفه بکلمة "صرصر" لشدة صريرها و صوتها کانها بصريرها يهبُ علي الاذان فيفتت سماخها. فمثل هذه الرياح علامه غضب الله تعالي. فاذا غضب علي قوم يهلکهم او يعذبهم بالطوفان.

الاشارة الي قوم ثمود و ظهور الناقه و تأويل الناقه بعلي امير المومنين(ع):

ثم يقول و يخبرعن قوم ثمود بانهم کذّبوا نبيهم فقالوا: "

**الايات: 23 الي 26- کذبت ثمود بالنذر فقالوا اَبَشراً منّا واحداً نتّبِعُه انّا اذاً لَفي ضلالٍ و سُعُر. أالقي الذکر من بيننا؟( کيف يمکن ان يلقي عليه الذکر مِن بيننا فقط، )بل هو کذّابٌ اَشِر. سَيعلمونَ مَنِ الکَذّابُ الاَشِر.**

فتعجبوا بنزول الوحي علي رجل واحد منهم فقالوا هو مجنون. حقّروا نبيهم بانه واحد و هم کثيرون، و لم يعرفوا لعل الواحد اکثرُ و اَعلي مِن مِئَي و مِئات و الف و الاف؛ ليست الانسان بالقله و الکثره، انما هو بالعلم و الحکمة و الايمان. يعرّف الله تعالي الرجل المؤمن بانه کمثل السماء و ساير الناس کمثل الارض و المرعي. يقول" "*الذي اَخرجَ المَرعَي فجعلَه غُثاءً اَحوي*"[[19]](#footnote-20) فالرجل المؤمن ولا سيما نبي من الانبياء يجعل الله تعالي فيه روح القدس و روح الايمان يعلوه بهذين الروحين علي کل کافر و مستکبر و منافق او مؤمن فقدَهما اذ لم يؤمن بربه. فهذه الواحد المؤمن خيرٌ من الکثير الکافر. يقول تعالي:

**الايات: 27و28- انا مُرسلوا الناقةَ فتنةً لَهم فَارتَقِبهُم و اصطَبِر. و نَبّئهُم اَنّ الماءَ قِسمةٌ بينهم کلُ شِربٍ مُحتَضَرٌ.**

 فجعل هو تعالي الناقة فتنةً يمتحنهم و يفتنهم به ليعرف بها المؤمن من الکافر.[[20]](#footnote-21)

و لهذه الايه تأويل دقيق لطيف في دين الاسلام. فکما انه تعالي جعل الناقه اية مبصره لقوم عاد، جعل للمسلمين ايضا آيهً مبصرةً بوجودها و تعليماتها کناقة قوم ثمود. يخبر الله تعالي عن الناقه في ايه اخري بانها "مُبصرة" يقول: "*و اتَينا الثمودَ الناقهَ مُبصره فظلموا بها*"[[21]](#footnote-22) فيخبربان الناقه ابصر الناس. و الاِبصار بمعني التعليم. و لا ريب بان الناقه و ان کانت ناقه ظهر باعجاز نبي و کانت ايه من ايات الله الا انها کانت في وجودها ناقة حيوانا کمثل ساير النوق و ليست الناقه معلّمة مبصرة يستبصر به الناس الا من حيث انها کانت اية من ايات الله و کل اية من ايات الله مبصره من حيث انها دالّهٌ علي وجود الله تعالي و دالهٌ علي ان النبي الذي اتَي بها صادقٌ في قوله و کل ناقه غيرها من ايات الله تعالي علي وجه الارض الا انها ظهرت باعجاز النبي و خرجت من الجبل، کانّ الجبل ولّدته.

و اُولّت هذه الايات ولا سيما ايه في سورة الشمس حيث يقول الله تعالي: "*فقال لهم رسولُ الله ناقةَ اللهِ و سُقيها فکذّبوه فعقروها*" اوّلت هذه الايات بعلي عليه السلام حيث انه کانت ايه من ايات الله قدّمه النبي لهذه الامه فقال "*انّي تارکٌ فيکم الثقلين کتابَ الله و عترتي*" فکذّبت الامةُ رسولَ الله في تقديمهم عليا حيث قال لهم: "*لا تُقدّموهم فانّهم اَقدمُ منکم و لا تُعلّموهم فانهم اَعلمُ* *منکم*" فکما ان ناقة صالح کانت ذو برکة کثيرة سقت قوم ثمود بالبانها کما قيل: کانت تشرب النهر يوما فانقلبت النهر في ذرعها لبنا و سقت القوم بالبانها، کذلک کان علي عليه السلام ذو علم وسيع و برکات کثيره حيث انه عليه السلام يبين للامّه ما جهلوه من تفسير اي القرآن و تبين حقايقها و کان حريصا في تعليم الناس؛ کان يقول: " *سَلوني قبلَ اَن تفقدوني فانّي اَعلم بطُرُق السموات من الارض*"[[22]](#footnote-23) فکما ان الناقة صالح کانت اية منه يتمّ بها الحجه علي الامه کذلک کان علي اية من رسول الله اتمّ الله بها الحجة علي المسلمين. فما اکثر ما اوصي الامة رسولُهم ان يتبعوا عليا و الائمة من ولده.

الاشارة الي قوم لوط و نزول العذاب عليهم:

ثم يذکر الله تعالي قوم لوط بانهم کذّبوا ايضا نبيهم فقال:

**الايه: 33- کذّبَت قومُ لوطٍ بِالنُذُر. فارسلنا عليهم حاصبا،[[23]](#footnote-24)**

يعني انهم رجموا بالحجر و المدر حيث ان الله تعالي زلزل بهم الارض رمي بقرائهم و بلادهم الي السماء ثم دکّ بها الارض فاُمطِروا بالحَصباء و الاحجار. و يخبر بانه تعالي نجي لوطا و اهل بيته غير امرته من هذا العذاب. و يخبربانهم لما ارادوا ان يراوِدوا ضيف لوط طمس الله تعالي اعينهم. و يذکر الله تعالي في کل هذه القصص بانه يسّر القرآن للذکر فهل من مدّکر.

الاشارة الي قوم فرعون و اشتراک ساير الکافرين في عذاب الله:

ثم يخاطب المسلمين بقوله:

**الايه: 43- أکُفّارُ کم خيرٌ مِن اولئِکم اَم لَکُم بَرائةٌ فِي الزُّبُر.**

يخاطب الله تعالي في هذه الايه امة نبيه محمد صلي الله عليه وآله ، يوعِدهم الله بانهم اذا کفروا برسول الله و انکروا الحججَ بعده بقتل علي و اهل بيته يکونون کساير الکافرين حيث ان الله تعالي لا ينظرالي هذه العناوين الظاهرة التي يعرف بها الناسُ في حيوتهم، اذا العناوين الظاهره انما هي من اسباب التعاريف کما يقول: "*جَعلَکم شُعوباً لِتَعارَفوا*"[[24]](#footnote-25) فکما انه تعالي جعل قوما هاشميا و اخري اُمويا و قوم نَبَطيا و غيرذلک و جعل هذه من اهل هذه البلاد و هذه من بلاد اخري کذلک جعل قوما مسلما و قوما اخري يهوديا و نصرانيا و غيرذلک لتعارفوا بينهم؛ و ليس هذه العناوين بها ينجو الانسان من عذاب الله. فالذي يريد الله من کل امه علي وجه الارض هي الايمان بالله و بالاخره و العمل الصالح حيث يقول: "*انّ الذين امنوا و الذين هادوا و النصاري و الصابئين من امن بالله و اليوم الاخر و عمل* *صالحا فلهم اجرهم عند ربهم*"[[25]](#footnote-26) فکما ان من اليهود من امن و منهم من کفر کذلک من النصاري من امن و منهم من کفر، کذلک من المسلمين منهم من يؤمن بالله و اليوم الاخر و منهم من يکفر. فيهددّ الله تعالي الکفار من هذه الامه بقوله ليس کافرکم خير من ساير الکافرين. فيعذبکم الله تعالي کما عذبهم و ليس لکم برائة من الله تعالي و عهد عنده و عند رسوله ان تکفروا و لا تعذبوا بل تدخلوا الجنه بکفرکم حيث اذ کنتم في عناوينکم!.

ثم يحکي عن الکافرين اعتقادهم و انتصارهم بانفسهم حيث يقولون:

**الايه: 44- نحن جميع منتصر.**

الانتصار، باب الافتعال من النصر، بمعني اخذ النصر. لان الافتعال بمعني اتخاذ الفعل. فمن اخذ الکسب يقول "اکتسب" و من اخذ الشغل يقول "اشتغل" ومن اخذ انصر يقول انتصر، يعني اخذ النصر من الله او من انفسنا. فيزعم الکفار في حروبهم و غزواتهم انهم ينتصرون من ربهم او من انفسهم فيغلبون علي غيرهم من الاحزاب، حزب الله او حزب الشياطين. فيرد الله تعالي عليهم قولهم بانهم منتصرون. يقول:

**الايه: 45- سَيهزَمُ الجَمعَ و يوَلّونَ الدّبُر.**

يعني انهم سينهزمون في حروبهم وغزواتهم و دنياهم و يکون العاقبة للمتقين. کما يقول الله تعالي " *کتبَ الله لَاَغلِبنّ انَا و رُسُلي" او يقول "اَلا انّ حزبَ اللهِ همُ المُفلحون" "و انّ جُندَنا لَهم* *الغالبون*"[[26]](#footnote-27) و غيرذلک من الايات؛ يخبرعن غلبة حزب الله علي احزاب الشياطين. ثم يقول:

**الايه: 46- بَلِ الساعةُ مَوعِدُهم و الساعةُ اَدهي و اَمَر.**

نبذة من حوادث القيامه:

فيخبر بانه تعالي قدّر للکافرين عذابين، عذاب الخزي و الانهزام و عذاب الساعه. و يخبر في ايات اخري عن عذابين قدّرها للکافرين يقول: " *و لَنُذيقنهم من العذاب الادني دون العذابِ الاکبر لعلهم يرجعون*"[[27]](#footnote-28) فالعذاب الادني في هذه الايه عذاب الدنيا يعذبون بها بالقتل او الحرب او بانزال الرجز و العذاب من السماء، کما عذّب قوم نوح و قوم عاد و ثمود و کما يعذب الکفرة الفجره بوقوع الحرب بينهم يقتل بعضهم بعضا. يقول في اية اخري: " *و لا يزالُ الذين کفروا تصيبهم بما صَنَعوا قارعةٌ او تَحلّ قريبا من دارهم حتي يأتي وعدُ الله*"[[28]](#footnote-29)

و وعد الله هي الاخره، يقوم بقيام القائم عليه السلام. ولذلک يقول في هذه الايه، يخبر عن انهزامهم و قطع دابرهم و لاسيما بقيام القائم، و ايضا في آيةٍ من سورة الدخان: " *يوم نَبطِشُ البَطشة الکُبري انا منتقمون"* و يقول في دعاء الندبه *" اَين مُبيدُ العُتاة و المَرَده اَين مُستأصلُ اهلِ العنادِ و التَضليلِ و الالحاد*"

فيهزمون کلهم بقيام القائم و يخرجون عن الحيوة الي الموت و اشد من الموت.

و اما عذاب الساعه يخبر الله في هذه الايه بانها اَدهي و اَمَرّ. و الاَدهي من "الداهيه" و هي البلاء العظيم الذي يدهش و يبهر العقول. و الاَمَرّ من "المُرّ" و هي ضد الحُلو و الحَلاوه، يترجَم بالفارسية( تلخ ). و في اية اخري يخبر بانه العذابُ الاکبر؛ کما ذُکر آنفاً. و دليل اکبرية العذاب الاخره و انه ادهي و امرّ اِنّه يبقي لللانسان المعذّب الي الابد، کما يقول: " *خالدين فيها ابدا*" فالعذاب الدنيا يذهب بذهاب الروح فلا يعذب الميت ولکن العذاب الاخره يبقي فلا موت هناک. فينادي اهل النار يطلبون الموت من الله يقولون " *يا مالکُ ليقضِ علينا ربُک قال اِنّکم ماکثون*".[[29]](#footnote-30)

ثم يقول تبارک وتعالي:

**الايه: 47 و 48- اِنّ المُجرمينَ في ضَلالٍ و سُعُر. يومَ يسحَبونَ في النارِ علي وجوههم ذوقوا مسّ سقر.**

فيخبر عن حال المجرمين و فکرهم و شاکلتهم و اهدافهم، يقول انهم في ضلال و سعر. فهم کالحيران في فلوات الجهل و السفاهه و اشد من الحيران لان الحاير في الفلوات يعرف انه ضال عن الطريق و يعلم انه فقد الطريق فيطلبه في الفلوات لعله يجده بنفسه او يرسل الله اليه هاديا يهديه الي طريق المستقيم ولکن الحاير في الجهل و السفاهه يعيش و يعمل جاهلا سفهيا و لا يعلم انه جاهل، او لعله يظن انه عالم!. فالجاهل يقع في ثلاثه حالات بعضها اشد من بعض و صاحبها اضلّ من اخري. الاولي الجاهل الذي يعلم جهله و يدري انه جاهل، کاکثر العوام من الناس يعلمون انهم جاهلون فيطلبون العلم و يسئلون عن العالِم. فهم اقرب الي النجاة. ولو ماتوا في جهلهم من غيرتقصير عفي الله عنهم فيدخلون الجنه. الثاني الجاهل الذي لايعرف جهله. فهو غافل عن العلم و الجهل، کالصبيان و الانعام. فهم جاهلون و لا يعرفون جهلهم، فلا يطلبون العلم و لا يسئلون. فهم ايضا ضالُ حيران، لا يدرون ما يأتي لهم و عليهم؛ و لعل الله يرسل عليهم رسولا فيذکّرهم و يدعوهم الي طاعة الله. الثالث الجاهل الذي يظن جهله علما و يعتقد بانه عالم و غيره ممن يخالفه جاهل. يقول الله تعالي فيهم: "

*قُل هَل نُنَبئکم بِالاَخسرينَ اعمالا الذين ضَلّ سعيهم في الحيوةِ الدنيا و هم يحسَبون انّهم يحسنون صُنعا"* و يقول فيهم*: "زَينَ لَهمُ الشيطانُ اَعمالَهم*"[[30]](#footnote-31) فجهل هؤلاء جهل مرکب وجهل الطايفه الثانيه جهل بسيط و جهل الطايفة الاولي نصف العلم. و يقال فيهم: من قال لا ادري فلا ادري نصف العلم. و الله تعالي يخبرعن الطايفه الثالثه انهم في ضَلال و سعر و هم ضالون و يظنون انهم مهتدون، و جاهلون و يعتقدون انهم عالمون. فلا يرجعون من غيهم ابدا ينشئون في جهلهم و يعيشون في جهلهم و يقعون في ما ينتج جهلهم و لا ينتج الجهل لاهل الضلال الا سعيرا، لان الجاهلين الضالين لا يقدرون ان يعيشون الا بالظلم و الطغيان؛ و لابد لکل ظالم طاغ من کسب القدره و يجره کسب القدرة الي کسب قوي ناريا يحرق بها عبادالله ليسلب عنهم مواد رزقهم. فلذلک يقول الله تعالي، يشبّههم بالسّحاب: "*يوم يسحَبون الي نارجهنم*"

فکما ان السحاب يذهب جرّا من فضاء الي فضاء کذلک هؤلاء يذهبون جَراً الي نار جحيمهم.

ثم يقول:

**الايه: 49و 50- اَنّا کلَ شيئٍ خَلَقناهُ بِقَدَرٍ. وَ ما اَمرُنا الاّ واحدةٌ کَلَمحٍ بِالبَصَر.**

تفسير: کل شيئ عنده بمقدار:

فيخبر بالاية الاولي ان کل شيئ عنده بمقدار يقدره الله يهندسه کما يريد. و ذلک ان کل شيئ انما يظهر شيئيته بماهيته و صورته لا باصوله الماديه. فان الاصول في ذاتها و وجودها حقيقة واحدة، لا ميز فيها حتي يسمي باسم خاص. فلا يمکن ان يشار في اصول الاشياء شيئ فيقال انها ماء و هواء و تراب و نار و غيرذلک. فان اصل الاشياء و هي المادة للاجسام و النور لحياتها، لا يکون في ذاتها الا حقيقه واحده. فالمادة الاولي الذي جعله الله تعالي لا من شيئ لا يوصف و لا يسمي باسم خاص، لانه لم يعمل الله تعالي عليها و بها شيئا. فلا يکون للماده في اصل ماديته اثر و خاصية و شکل و صوره و ماهية غير انها مادةٌ حدّها عين وجودها؛ لا لون لها فيسمي بلون خاص يقال لها اخضر او احمر، و لا صورة لها من هذه الاشکال المختلفه فيقال لها صغير او کبير او مربع و مثلث و غيرذلک، و لا قوه فيها ليتحرک فيقال لها قوي او ضعيف. کذلک لا حيوة فيها ليحسّ شيئا فيقال لها حي او ميت، بل هو في ذاتها مادة بسيطة لا اثر لها و لا خاصيه. فاذا اراد الله ان يجعلها شيئا يسمي باسم خاص و يوصف بوصف مخصوص فيقال لها قوي او ضعيف او حي او ميت او متحرک و ساکن و غيرذلک لابد له تعالي ان يعمل لها وعليها عملا يقدّره بتقدير خاص فيجعل فيها قوه من روح خلقه فيتحرک فيقال لها مادة متحرکه، فيظهر قبالها مادةٌ اخري ساکن، فيقال هذا متحرک و هذا ساکن. او يجعل في بعضها حيوة من روح خلقه فيقال لها حي و يقال لمادة اخري لم يجعل فيه روح الحيوة ميت. کذلک يجعل في بعض المواد نورا فيظهر بضياء يقال لها مادة نوراني و اخري لم يجعل الله فيه نورا يقال لها ماده ظلماني. فيجعل من کل عمل لله تعالي علي الماده شيئية خاص يسمي باسم خاص، يظهر بفعل الله النقايض و الاضداد. فيضاد مادةٌ بصفةٍ خاصٍ غيرَها بصفةٍ غيرها و يناقض مادة اخري بما فيه صفة خاص غيرَها بما لم يکن فيها هذه الصفه. ثم هلم جرا الي ما شاء الله. يقدّر کل شيئ بتقدير خاص و هندسة مخصوصة فيسمي باسم خاص. فشيئية کل شيئ عنده تعالي بمقدار.

وحدة امر الله تعالي في خلق الخلايق:

ثم يقول: "*و ما امرُنا الا واحده کلمح بالبصر*" فيخبر عن وحدة امره تعالي. و امر الله تعالي علي قسمين: امر تکويني، هو فعله تعالي. يخلق ما يشاء و يصنع ما يريد و امره هذا فعلٌ منه، بلا قولٍ و لا تفکرٍ.و ترَوٍّ و تعقلٍ و غيرذلک. لان التفکر و التعقل ينشاء من جهل المتفکر. لا يعلم شيئا فيطلبه، و هو تعالي علم کامل يعلم کل شيئ و يجده بذاته و حکمته.

و الامر الاخري تشريعي، يشرع به الدين و الشرايع. يأمر الانبياء و ينهيهم و کذلک يأمر المؤمنين بشيئ و ينهيهم. فاوامره في هذين المرحلتين کثيرةٌ مختلفات، لا يشبه امره بشئ بامره اخري، او لا يشبه خلقه شيئا بخلق اخري. فکما يکون الخلائق کثيرة مختلفة فامره علي هذه الخلائق ايضا کثيرة مختلفه. فلابد لنا ان نطلب وحدة امره التشريعي في هذه الاوامر الکثيره، کذلک وحدة امره التکويني من هذه الخلائق المختلفه.

فنقول: اَما وحدة امره تعالي في التشريعيات. انما ملاک امره و نهيه حکمتُهُ تعالي. من الحکمة ينشئ الحکم. و الحکمة کلمة واحده و حُکمُه من هذه الحکمةِ کلماتٌ کثيرة مختلفات. فحکمة الواحده التي هي ملاک اوامره و نواهيه هي العلة الغائيه فيما يأمر و ينهي. فيقال لِمَ امَر بالصلوة و نهي عن الکذب و الافتراء، و لمَ امرَ بالصوم و الزکوة و الحج و غيرذلک و نهي عن البخل و الشحّ بالنفس؟ فيقال في جواب السائل، انه تعالي اراد ان يتقرب العبد الي ربه بکل امر يعمله و نهي يترکه. فمن کفّ نفسه عما حرم الله عليه وقف بنفسه ان ترِدَ موارد الهلکة و العتاء. فان في کل ما حرم الله علي عبده ذهابُ مال او ذهاب نفس او ذهاب عزة او ذهاب دين. ثم يأمر عبده ان يتخطأ الي ربه بهذه الاوامر و النواهي خطوةً خطوةً فينال علما فيتقرب الي ان ينال لقاء ربه. فکل عبد في بدو تکليفه يقع في واحد من حالاته الثلاثه: اِما يکون متوقفا ساکنا لا يقرب الي ربه و لا يبعد عنه. و اِما في حالة يتقرب الي ربه، و اِما في حالة يبعد عنه. فاثنان من هذه الحالات الثلاثه محکوم بالفناء و غيرمطلوب من الله تعالي و حالة اخري مطلوب عنده. فالحالة المطلوبة عنده تعالي هي التحرک بالتقرب اليه تعالي و هذه الحاله يحصل للانسان بامتثال اوامره واجبا کان او مستحبا. و الحالتان المحکومة بالفناء هي السکوت و التوقف؛ لا يعمل ما ينفعه و لا يفعل ما يضرّه. فهو کالانعام. و الحاله الثالثه هي الحالة التي يبعد الانسان من ربه شيئا فشيئا الي اسفل السافلين. وهذه الحالة يحصل للانسان بارتکاب النواهي و المحرمات. فکل نهي نهَي الله الانسان يسفل بالانسان و يحرمه عن نعمة من نعم الله تعالي. کذلک کل حرام من امثال الکذب و الغيبة و الافتراء يسفل بالانسان فيساقطه و يحرمه عما انعم الله عليه. فملاک اوامره التشريعي واحدة، ان يتقرب العبد بالاوامر الي الله و ينجو من المهالک. لا يتوقف في حرکته اليه تعالي و لا يهبط الي اسفل السافلين.

و اما ملاک اوامره التکويني فهي ايضا واحدة. فان سئل لم خلق الله الخلائق يقال في جواب الحديث القدسي المشهور. يقول الله تبارک وتعالي " *کنتُ کنزاً مخفيا فاَحببتُ اَن اُعرَف فخلقتُ الخلق لِکَي اُعرف*" فالمعرفة هي العلة الغائيه في خلق الخلائق. خلق الخلائق ليظهر بذلک عظمته و علمه و حکمته. فيهتدي الناس بخلقته تعالي اليه.

فالعلة الغائيه وهي المعرفه، امرٌ واحد خلق الخلائق جميعها لظهورهذه العله. فان الانسان هو مظهر العلم و المعرفه و هو الذي يقدر ان يتعلم و يقدر ان يستدلّ بالدلائل الي المدلولات و بالصنايع الي صانعه. فخلق الله تعالي العالَم و جعلها صفحة وضيعةً قبالَ الانسان يقرء ما فيها من الخلائق فيعلم کيفية الخلق. ثم بعث الله تعالي الانبياء و امرهم ان يذکّر الانسان ما نسي من خلقته و ساير الخلائق و يرون الانسان آثارَ قدرته تعالي و لطائفَ صنعته، کما يقول مولانا علي عليه السلام: "واترَ اليهم انبيائه ليستأدوهم ميثاق فطرته و يذکروهم منسي نعمته و يروهم آثار المقدرة من سقفٍ فوقهم مرفوع و مهاد تحتهم موضوع"

فالعلة الغائيه في جميع الخلايق واحدة وهي حصول المعرفه لله تعالي.

وکذلک العله الماديه و الصوريه. فکل خلق من خلائقه تعالي يرجع عن کثرته الي وحدة المبادي. فالمبادي واحدة و ما يصدر منه کثيرة مختلفه. و مبادي الخلق هي النور و الماده، او الروح و الجسم. فکل الخلائق مشترکات في الجسم و الروح او المادة و القوه. جعل الله تعالي لکل مادة روحا به يتحرک الي النشو و الارتقاء، و لکل جسم مواداً به ينجسم. و کيفية خلقته تعالي واحدة. ينشأ من ترکيب المادة و القوه و الجسم و الروح و ساير ما انشأه تعالي من الاملاح، يترکب منها الجماد و النبات و الحيوان و ينتفع بها الانسان. فخلقُ الانسانِ من حيث الترکيب و الهندسه و ترکيب الجسم و الروح کخلق ساير الحيوانات، و ان کان يزيد في بعض التراکيب علي بعض الحيوانات. فالانسان و الحيوان مشترکات في الحيوة و الجسم، و هما مع الاجسام مشترکاتٌ في الجسمانيه، و هذه الثلاثه مشترکات في الروح و الماده.

فاموره التکويني ايضا واحده، کالامور التشريعي. فلذلک يشبّه الله تعالي وحدةَ امره بلَمحِ البصر؛ يقول: "*و ما امرُنا الا واحدة کلَمحٍ بِالبصر*" فان لمح البصر و هي النظرة بطرف العين الي ما يريد واحدٌ في کل مبصر يبصر. کلُ مُبصرٍ يريد ان يبصرَ يبصرُ بکيفيةٍ واحده. و خلقَ الله تعالي الاعينَ في کل ما لَه عينٌ بکيفيةٍ واحده. فکما ان اللّمح بالبصر لکل مبصر واحده، کذلک امر الله تعالي واحده.

و يمکن ان يکون الامر في هذه الايه الامر بالعذاب و الهلاک علي الظالمين و الکافرين. فيخبر بانّ ارادته تعالي بالخير و الرحمه للمؤمنين، و بالعذاب و الهلاک علي الکافرين واحدة. يرحم المؤمنين و يدخلهم الجنة بدليل واحد و کيفية واحده، و هو الايمان بالله تعالي و الايمان بالاخره و العمل الصالح. کذلک يدخل اهل الکفر و النفاق نارَ جهنم ايضا بدليل واحد و هو الکفر بالله العظيم. فلا يقول مؤمن في نفسه حين اذ يريد ان يؤمن بالله ان الله رحم المؤمنين في ما مضي من القرون الاولي فلعله لا يرحم المؤمن فيما يأتي من القرون. او يقول الکافرلعلّ الله تعالي عذّب الکافرين فيما مضي من القرون کامثال قوم عاد و ثمود و لعله لا يعذب الکافرين فيما يأتي من الازمنه. فيخبرهم الله تعالي ان تقدير الله للمؤمنين فيما مضي و فيما يأتي واحد. يرحم کل مؤمن بدليل الايمان و العمل الصالح و کذلک تقدير الله في تعذيب الکافرين فيما مضي و فيما يأتي واحدة ايضا. يعذب کل کافر و ظالم بکفره و ظلمه و لا ينظرالي ابائهم و امهاتهم.

و قرينة ذلک ما يذکر بعد هذه الايه و هي الايه الواحده و الخمسين يقول:

**الايه: 51- و لقَد اَهلَکنا اَشياعَهم فهَل مِن مُدّکر.**

يخاطب الکفار في کل زمان يقول لهم لقد اهلکت امثالکم و اشياعکم فيما مضي من الکافرين کذلک نهلککم اذ کنتم مثلهم کفارا ظالمين. فلا يظن احد من الکفار ان الله تعالي اهلک الکافرين فيما مضي و لا يهلکهم فيما يأتي. فلا ينجوا من عذاب الله الا من امن من الناس کذلک لا يهلکوا الا من کفر. فامرُه تعالي واحدة في تقدير کل مؤمن و کافر کلمح بالبصر. فيشبّه ارادته و تقديره بلمح البصر. يقول فکما انک تنظرالي مؤمن تعرفه مؤمنا و الي کافر تعرفه کافرا کذلک الله تعالي ينظر الي کل مؤمن بنظر واحد و الي کل کافر بنظر واحد.

ثم يقول تبارک و تعالي:

**الايه: 52 و 53- و کلُ شيئٍ فعَلوهُ فِي الزّبُر. و کلُ صغيرٍ و کبيرٍ مُستَطَر.**

استطار الصغير و الکبير من الاعمال:

يخبرعن ثبتِ کل حادثه من الاعمال و الافکار و النيات و کل ما يريدون ان يعملون. فلا يمکن حادثةٌ و فعلٌ الا و هو ثابت في متن العالم. و ثبت الاعمال و الافعال امر قهري طبيعي، ليس من قبيل الجعل بالاراده ليقال: يثبت اِن اَثبتهُ المُثبّت و يمحو اذا مَحاه الماحي. فثبتُ الاعمالِ و الافعال في متن العالم من قبيل اِلقاء حجرٍ في البحر. فلو القيت حجرا کبيرا او صغيرا في البحريظهراثره علي الماء، و ظهور هذا الاثر ليس بارادتک او ارادة غيرک بل هو امر قهري. و کذلک اذا تکلّمت بکلمةٍ يتموّج بکلامک الهواء و لا تقدران تمنع الهواء من التموّج او اذا نَوَيتَ بِنيةٍ يتموّج بنيتک قلبک و روحک و تثبت نيتک في قلبک، و کذلک ما من حادث الا و هو ثابت. و في الايات و الروايات ما يدل علي ذلک. ففي الروايه يقول:

*" کلُ شيئٍ فِي العرش"* او يقول*: "تمثالُ کلِ شيئٍ في الکرسي"* و في الايه يقول*: " و کلَ انسانٍ اَلزَمناهُ طائِرَه في عُنُقِه و نُخرِجُ لَه يومَ القيامهِ کتاباً يلقَيهُ مَنشورا"[[31]](#footnote-32)* او يقول*: "انّا کُنا نَستنسِخُ ما کنتم تعملون"* و يقول*: "من يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يرَه، او "شراً يرَه"*

فلو لم يثبت الاعمال لم يکن ليراه احد.

و تجسم الاعمال من عقايد الشيعه. جاء في الروايات ان الخير و الشر کِلاهما يتجسم و يرجع الي صاحبه. فلا يمکن ان يحدث حادثة بارادة الله او بارادة خلق الله الا و يسطر هذه الحادثه. فمن احدث شيئا، صنعه، و المصنوع موجودٌ.

فنقول في بيان کيفية الثبت؛ يخبر الله تعالي في هذين الايتين عن ثبت کل شئ في الزُبُر. و الزبر و البينه اصطلاحان للحروف. اصطلح اهل اللغه کلمة "الزبر" لشکل الحروف و "البينه" لمُبينِها. تنظر الي حروف الهجاء، تري لها رسما، و اسما يبين هذا الرسم. فرَسمُ الالف خطٌ عمودي و رسمُ الباءِ و التّاءِ کذلک خطٌ افقي و هما حروفٌ واحد و شکل واحد. ثم تبينها بلفظ يترکب من حرفين او ثلاثة حروف؛ تقول: الف و باء. فهذان الکلمتان يبين لک و لغيرک الرسمين المذکورين. فکلُ حرفٍ يسمي زُبُرا و کلُ اسمٍ يبين هذا الحرف يسمي بينة. فکما ان لحروفنا و الفاظنا و کلماتنا زبرٌ و بينه، کذلک في متن العالم و فضاءٍ خُلق فيه الخلائق. فالعالمُ کلها بمنزلة الکتاب، لها لوحٌ و صفحة لا نهايه لها و لا يتحدّد بحدود في ظاهرها و باطنها؛ يسمي هذه الصفحه بالفضاء. فالفضاء لا يتناهي في وجودها و ليست مخلوقةٌ خلقه الله تعالي، بل هي بمعني العدم و لا شئ. و لا ينجَعِل العدم. فخلَقَ الله تعالي في متن الفضاء عوالمَ کثيرهً لا يحصيها احد الا هو تبارک وتعالي. خلق في هذا المتن او الفضاء اصولا بمنزلة الحروف ثم تفرّع من هذا الاصول فروعا کثيره، هي بمنزلة الکلمات. فالاصولُ حروفٌ و الفروعُ کلماتٌ و لا يبين الحروفَ الا الکلمات. فاذا اردت ان تبين حرفا مثلا " ا- با- تا- س- ج- د-" تصنع من هذه الحروف کلماتٍ تبينها. فتقول: الالف و الباء و الجيم و الدال، الي الاخر. و کذلک يبين الله تعالي بفروعٍ انشأها من الاصول، هذه الاصولَ. فکل شيئ في متن العالم من الماء و الهواء و الشموس و الاقمار، کذلک من الجمادات و النباتات و الحيوانات، کلُ ما يري او لا يري، کلماتٌ في لوح العالم. و هذه الکلمات نشأت من حروفه الاولي. يبين لنا هذه الحروف من حيث ان الفرع يبين الاصل و لو لم يکن اصلٌ لم يکن فرع. فعلي هذا يکون الاصول ظرفُ الفروع، بدء منه و يرجع اليه، و لا يمکن لک ان تنال فرعا خارجا عن اصلها غير المرتبط بها.

فهناک اقول لو کان حروف الهجاء في کلماتنا و عباراتنا ذي عقل و شعور! و کان يمکنک ان تستخبرَ من کل حرف ما بَدء منه في ترکيب الکلمات وما رجع اليه في تجزيتها. انظر مثلا الي الالف و الباء و الجيم و الدال من حروف ابجدکم، بدء منها في الاستعمالات و العبارات. و کم من متکلم و خطيب استعمل هذه الحروف في کلماته و خطاباته؛ سطراً و بيانا. يلزم من ذلک ان تعلم تلک الحروف عدد ما استُعمل في الکلمات و العبارات؛ لانها اصل و ما بدء منها فرعٌ تفرّع منه. فالتراب اصل للنباتات، يعلم ما خرج منه و ما رجع اليه.

و کذلک انظر الي عمق نفسک و ما خرج منها من الاقوال و الاعمال و ما يرجع اليها. فلما کان نفسُک اصلا و مبدأ لصدور اعمالک و اقوالک و مرجعا لورود الاعمال و الاقوال منک و من غيرک، فنفسُک تکون عالمة بما صدر منها و ما رجع اليها، لانها اصلٌ و ما خرج منها فرع؛ يثبت الفروع في الاصول. فکما ان الله تعالي جعل لکل اقوالک و اعمالک اصلا، کذلک جعل لکل ما خرج في العالم اصلا و مبدأ، و هي واحدةٌ في ذاتها و ان کانت متکثرة في فروعها. فما من حادثة الا و يثبت تلک الحادثةُ في مبدئها و هي الزبر بمنزلة الحروف للکلمات و العبارات.

ثم يخبر الله تعالي بعد ما يذکر انّ *کلَ شيئ فعلوه في الزبر*، بانّ *کلَ صغير و کبير مستطرٌ*. فيخبر بانه يسطر و يکتب کل حادثه في کتاب کما يثبت کل فرع في اصلها. و کتابت الاعمال مما اَجمع عليه المسلمون و المؤمنون في کل العالم. و کتابت الاعمال و تجسّمُها من ضروريات الدين. فيقول الله تعالي: " *فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره*" و لو لم يبقِ الاعمال و لم يکتب لا يمکن ان يراه احدٌ لان المعدوم لا يري.

و الافعال و ان کان شيئا موجود بالعرض حين الفعل، الا انها يعدُم بعد الفعل؛ لان الافعال انما هي حرکات بالاعضاء و الاسباب، و الحرکة يعدُم بعد ما حدث. فهل تري فعلَک الان فيما مضي؟ او هل تري حرکتک و انت ساکن؟ او سکونک و انت متحرک؟ او هل تري قيامک و انت قاعد؟ او قعودک و انت قائم؟ لا والله! يزول الحرکة عند السکون و السکون عند الحرکه. فاذا اردت ان تبقي حرکاتک و سکناتک و افعالک کلها يجب عليک ان تثبتها و تسطرها في کتاب. ان الخطوط و العبارات افعال و حرکات بقيت علي الصحايف. فلابد ان ننظر کيفية کتابة الاعمال.

يخبر الله تعالي في هذه الايه بانه يسطر الاعمال صغيرها و کبيرها. و في اية الاخري يقول: "*اِنّا کُنا نَستنسِخُ ما کنتم تعملون*" و کيف يکتب الله تعالي الاعمال؟ يکتب الاعمال ظاهرا في کتابَيهِ وهي: کتابُ الانفس و الافاق. فيکتب الاعمال في نفس العامل و کذلک يکتب في انفس الرائين و المراقبين. فکل عمل عملته يسطر في لوح وجودک و يسطرفي لوح وجود من شهد عملک. و لذلک يقول الله تعالي: "و يتّخذُ مِنکم الشُهداء". فاذا صليتَ او صُمت او حَججت و غيرذلک يثبت في لوح نفسک و في لوح نفس من رآک علي هذا العمل، و لذلک تعلم انت ما عملته فيما مضي و اعلم انا کذلک ما عملت و عمل غيري. فلِمَ تعلم انت ما عملت و اعلم ما عملت؟ فاحسب مثلا انک ما سرقت و ما قتلت احدا الي الان؛ فلا تحسبُ نفسک قاتلا سارقا، کذلک لا يحسبک احدٌ سارقا قاتلا. فاذا سرقت او قتلت تعرف نفسک يقينا بانک سارق او قاتل و يعرفک من رآک علي السرقة و القتل. فاسئل نفسک لمَ تعرف بانک سارق و لم تکن تظن نفسک قبل ذلک سارقا؟ هل هي ينشئ من غيرکتابة الاعمال؟ فاثبت الله تعالي صورةَ عملک السرقة في نفسک و في نفس من راک، فلا تقدر ان تنکر سرقتک.

هذا هي الکتاب. لقد کتب الله اعمالنا التي صدر عنا في انفسنا و في انفس غيرنا؛ کذلک يکتب الله تعالي صورة الاعمال في کل شيئ واجَهناهُ من الجماد و النبات و الحيوان و الانسان. فاذا واجهت بعملک حيوانا يثبت عملک في نفس هذا الحيوان و لذلک جاء في الاخبار "*تشهد علي* *عملک ارضا صلّيت فيه او شجرا صلّيت في ظله*" و غيرذلک. فلکل شيئ من الاشياء ضابطة ينعکس فيه الحوادث و يثبت.

ثم يقول تبارک وتعالي يخبر عن مقام المتقين في الاخره:

**الايه: 54و 55- انّ المتقينَ في جنّاتٍ و نَهَر. في مَقعدِ صِدقٍ عندَ مَليکٍ مُقتدرٍ.**

فيعدُ للمتقين ثلاثه مواعيد: الجنات و الانهار و مقعد صدق في ظل حکومة مليکٍ مقتدر.

اشارة الي الجنه و ان الناس يعيشون في ظل حکومة الله تعالي:

فما هي الجنات و الانهار و المقعد الصدق في ظل حکومت الله تبارک وتعالي؟ ولعلک تقول کل تلک المواعيد واحدة و اِن ذُکر باربعة عبارات؛ لان الجنة يتلازم الانهار و هي مقعد الصدق، و کل ذلک في ظل حکومة الله. فکلها واحده. ولکن اذا تعمقت النظر في کل واحد من هذه الثلاثه تري کل واحد منها غير الاخري و ان کان يلزمها في ما وعد الله عباده المتقين. فالجنات و الجنان التي تجري من تحتها الانهار لا يکون بمعني الحدائق فيه الاشجار و الاثمار بل هي قلب معمورة بالعلم و الحکمه، کما يوصف القلب بالجنان. و القلب جنةٌ تجري من تحتها الانهار و لا يعمّر القلب الا بالعلم و الايمان. فان الله تبارک وتعالي يفيض علي عباده المتقين العلم و الحکمه، يعمّرها بها. کما يقول " *يؤتِي الحکمةَ من يشاءُ و مَن يؤتَ الحکمةَ فقد اوتي خيراً کثيرا*"[[32]](#footnote-33) ولو تعمقّت العلم و الحکمه تريها اصلا للحيوة الدنيويه و الاخرويه.

فانظر الي حيوتک و ما تنفع بها في الدنيا مِن اين يأتيک؟ تري انما يأتيک من قِبَل علمک و عقلک بمشية الله تبارک و تعالي. فکلما کثر علمک و عقلک کثر منافعک و طاب حيوتک، و کلما قل، قلّ. و في الروايات و الحاديث في کتاب الکافي يقول الامام عليه السلام: " *يثاب الناس يوم القيامه علي قدر عقولهم، او علي ما اتيهم الله من العقول*"[[33]](#footnote-34) فاذا قلّ العقل قل الثواب و اذا کثر العقل کثر الثواب. فالقلب العالم الحکيم المؤمن بالله العظيم هي الجنة و الجنان تجري من تحتها الانهار. فانک تري الانبياء يعملون اعمالا لايعمل بها الا في الجنه، و هي المعجزات. ينزل الله تعالي اليهم موائد الجنه کما انزل علي موسي و عيسي، و انزل الله تعالي الطير المَشوّيه علي رسول الله(ص)، اَکلها مع علي عليه السلام. فتريهم يحيون الاموات کما يحييهم الله يوم القيامه. و کم روي الينا من معجزاتهم صلوات الله عليهم. فهذه المعجزات کلها من اعمال الاخره و الجنه. فهم عليهم السلام بانفسهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار. و هکذا المؤمن المتقي اذ اکمل علمه و ايمانه و نال مقام الانبياء و الاولياء يجعل الله قلبه جنانا معمورا بالعلم و الحکمه، يدخل بهذا القلب الجنه و ينتفع بما وعد الله تعالي من الارزاق و الثمرات.

ولذلک يقول الله فيهم: "*کلّما رُزقوا مِن ثمرةٍ رزقاً قالوا هذا الذي رُزِقنا من قبل*"[[34]](#footnote-35) فالرزق الذي رزقوا قبل الدخول في الجنه ليس بمعني فواکه الجنه و اثمارها و انهارها بل هي بمعني علم اهل الجنه و اخلاقهم لان اهل الجنه متعلمون بعلم الله و متخلقون باخلاق الله و کلاهما يحصل لهم في الحيوة الدنيا من طريق الايمان و التقوي قبل الاخره. فالجنات هي العلم الذي حصل لهم من طريق الايمان و التقوي. بها يعرفون ما عند الله من النعم فيطلبونه و يجاب دعوتهم.

و اما "النهر" بمعني المياه الجاريه. جعل الله تعالي النهر ملازما لکلمة الجنه و الجنات في کل ايه من الايات يذکر فيها الجنه؛ کما يقول: *جنات عدن تجري من تحتها الانهار*"

فما اکثر ما تري في القرآن کلمة الجنه و الجنان تجري من تحتها الانهار. فلو کانت الانهار في الجنات بمعني المياه الجاريه کنهر جارٍ في الحدائق الدنيا فکان يجب ان يقول جنات عدن تجري فيها الانهار، لان هذه الانهار تجري في الحدائق و لا يجري من تحت الحدائق. فلابد ان يکون الجنه في الجنان غير هذه الحدائق، و الانهارُ الجاريه غير هذه الانهار. فانظر الي ما يصنع به الحدائق و الانهار و الارزاق و الفواکه و الاثمار و کل ما يغتذي به الانسان في الدنيا و الاخره. فانظر الي الله تبارک وتعالي اولا، هو مبدأ الحيوة و الارزاق کلها في الدنيا و الاخره. ابدء المياه و الحدائق و الجنات کلها، کان او يکون. فکيف بدء منه تعالي هذه الارزاق؟ فيمکن لک ان تجعل الله بعلمه و حکمته و قدرته جنة تجري من تحتها الانهار. فعلمه و قدرته کمثل الجنه يجري من هذا العلم و القدره کلما يريد الله ان يخلقه في الدنيا و الاخره. ثم انظرالي ساير العلماء الذين بعلمهم يصنعون ما يشائون. يصنعون المصانع في الدنيا، يعيشون بها و ينتفعون بهذه الصنايع. فانظر الي ما صنع الانسان من وسائل العيش و الحيوة. من اين ظهر هذه الوسايل کالسيارات و الطيارات و السفائن و کل ما يصنعه الانسان؟ فيمکنک ان تشبّه ما صنعه الانسان و ما عمله بنهرٍ جري من علم الانسان و قدرته، و کذلک يجري الي الابد. کذلک في الجنه؛ يجعل الله تعالي علمه و قدرته و ما به العيش و الحيوة بيد اهل الجنه، يفعلون بهذا العلم و القدرة ما يشائون.

و اليک نموذجة اخري من هذه الجنه و هو عيسي ابن مريم (ع)، کان يدخل في بلد و قرية من القري يشفي النفوس من امراضها و يحل کلما صعب و اشکل علي الانسان. يمکنک ان تسمّيهِ شجرة الاعجاز من يوم ولدته امه. فکان حين سقط من بطن امه يقول لامه: "*و هُزّي اليکِ* *بِجِذعِ النخلة تُساقِط عليکِ رُطباً جَنيا*"[[35]](#footnote-36) فهل يمکنک ان تُسمّيه شجرة الادويه لِشفاء الامراض او شجرة الاطعمة و الاغذيه و کلما يحتاج اليه الناس لمعاشهم و معادهم، کما انه شجرة العلم و الحکمه لهداية الناس!؟.

فالناس شجرة يثمر کلَ ثمر في الدنيا و الاخره و ظهور ساير المعجزات. نعم، هو جنةٌ تجري من علمه و حکمته و قدرته انهارُ الحيوة. کذلک اهل الجنه. يجعل الله تعالي علمه و قدرته فيهم فيصنعون بهذا العلم و القدرة ما يشائون کما جاء في حديث القدسي يقول الله تعالي: "

*لا يزال يتقرّبُ اِلي عَبدي بِالنّوافِل حتّي کنتُ سمعُه الذي بهِ يسمع... الي ان يقول "انا اقولُ کُن فَيکون و يقول هوَ کُن فيکون*".[[36]](#footnote-37) فالانسان بهذا التوجيه جنه وجنان تجري من تحتها الانهارخالد مخلد في جنته و جنانه.

و الثاني مما يعد للانسان في هذه الايه "المَقعدُ الصّدق"، يقول:

*في مقعد صدق عند مليک مقتدر.* و المقعد اسم المکان من القعود و هو ضد القيام. يقوم فيقعد. فالقيام حالة يتحرک فيها الانسان ليصل من حرکته الي مکان ليسکن فيه و يعيش. و هذا المکان الذي يسکن فيه من حرکته و يعيش فيه هو المقعد، يقعد فيه. فما من حرکة يتحرک فيه المتحرکات الا انهن يردن بحرکاتهن الي مکان تسکن فيها. فالسکون بمعني الراحة و الاستراحه و الالتذاذ و التنعم من نعم الله تعالي مقصدُ کل متحرک في حرکاته. و لو سُئل عنک لمَ قمتَ و لم تتحرک تتعب بها نفسَک تقول: قمتُ متحرکا للسکون و الاستراحه او للقعود في مقعد و مقام يليق بي.

و هناک بحث علمي فلسفي و هي ما يسئل هل السکون قبل القيام او القيام قبل السکون؟ و هل يکون السکونُ للقيام او القيامُ للسکون؟ فايهما ينتهي بالاخري؟ هل يجب علي الساکنين ان ينتهوا بسکونهم الي القيام او علي القائمين ان ينتهوا بقيامهم الي السکون؟

و السکون في هذا الموضع غير السکون بمعني ضد الحرکه، لانّ الساکن بهذا المعني کالميت و الميت کالعدم و العدم ضد الوجود، غير مطلوب لله تبارک وتعالي و للخلائق؛ بل السکون الذي عبّر بها في هذه الايه بالقعود هو حالةٌ يسکن الانسان من التعب و المشقه و يحصل له السکينه و الاطمينان بما نال ما طلبه من نعم الله تعالي.

فنقول السکون بهذا المعني و هي حصول الاطمينان بما نال من نعم الله تعالي هي مقصد الحرکه و هدف کل قائم متحرک. فکل قائم يطلب نعمه من نعم الله تعالي ليسکن بهذه النعمه عن حرکته. و المقعد الصدق في هذه الايه مقصد کل متحرک و قائم. فانا اذا قعدنا في هذه الدنيا الدنيه لانجد فيها مقعدَ صدق و لا نجد فيها ما طلبنا و قصدنا بقيامنا من النيل بما ننتفع به و نعيش. فلا يحصل مطلوبنا في هذه الدنيا. فکلما قُمنا الي نعمه من نعم الله تعالي وجدناها نعمةً مشوبه مخلوطة بالتعب و المشقه. فيقوم بنا هذه المشقات الي قعود اخري. فاذا نلنا بهذه القعود الاخري لا نري فيها ما طلبناه من النعم. فلا يکون الدنيا مقعد صدق لان القائم المتحرک لا يجد فيها مطلوبه و مقصوده. و اما الجنه فهي مقعدُ صدقٍ حقيقةً لانّ الانسان اذا دخلها يجد فيها کل ما يريد و يطلب، و يقعد و يسکن من قيامه؛ لانه کمسافر خرج من سفره و بلغ مقصده. فالجنه هي مقعد الصدق، حيث انّ فيها کل ما يريد القائمون المجاهدون لقيامهم و جهادهم.

و المطلب الثالث في هذه الايه ما يعد الله تعالي عباده ان يکونوا عند مليک مقتدر. و المليک هناک صفة مشبهة من المُلک؛ کالشريف من الشرف و القتيل من القتل. و الصفات المشبهه يخبرنا عن صفه متمرکزة في ذات الموصوف. فان الموصوف بالصفات علي ثلاثه اقسام: قسم منها يعرض عليه الصفه فيزول بعدُ و لا يثبت. کصفات حسنة يعرض علي الجاهل او المسيئ، ربما يحسن عمله. کالکفار يحسنون بالناس و يصلون ارحامهم ثم يترکون بکفرهم هذه الصفات. فيقال: فلانٌ حسنٌ و فلان شريف، عرض علي انفسهم هذه الصفات ثم يزول. و يخبر الله تعالي عن ايمانهم بانها مستودعُ فيهم، و المستودع يزول.

و الثاني صفات المؤمنين الذين يحسنون باطاعة الله و يکتسبون الايمان و الشرف بعنايته تعالي. فمثل هذا المؤمن الذي يخلص لله عمله يوصف بصفات حسنة ثابته فيه غيرزايل عنه.

و القسم الثالث من يکون صفاته الحسنه عين ذاته، غير کاسب و غيرمکتسب بها، و هو الله تبارک وتعالي. فان علمه و حياته و قدرته و ما يرجع اليها عين ذاته. فهو حي عليم عالم من الازل الي الابد، لا يمکن ان يزول عنه هذه الصفات. و لذلک يصف الله تعالي نفسه بهذه الصفات المشبهات التي تخبرعن عمق ذاته تعالي؛ و منها صفة المالک او المَلِک او المَليک. تارة يصف نفسه بالمالکية، يقول: مالک کل شيئ. او: *مالک يوم الدين*. و تارة يصف نفسه بالمليکية يقول: *عند مليک مقتدر*. و تارة بالمَلِک کما يقول: *ملِکِ يوم الدين*.

انه تعالي مليک بذاته لا يحتاج الي مُلک و جند يحفظ مُلکه. فهو بنفسه يقدر علي کل شيئ و يحفظ کل شيئ و يملک کل شيئ و لا يکون کمثل ساير الملوک حيث ان لا يکون قدرة لهم الا بغيرهم.

فيعد في هذه الايه عباده الاَمنية الابديه، لا يخافون من عدوٍ ولا من فقد مال و رزق.

و الامنية نعمة عظيمة قيمة جدا من نعم الله تبارک و تعالي. قد اشتهر من الرسول صلي الله عليه وآله : "*نِعمتانِ مجهولتان الصحة و الامان*" فالصحة امنية البدن و الروح من الافات و العاهات و الامراض و الاسقام، و الامنية الاجتماعي صحة التمدن و الاجتماعات من الغيبة و التهمة و هتک العرض و سرقة الاموال و قتل النفوس.

فهناک نقول يحصل الصحة للانسان في ثلاثه و يحصل الخوف ضد الامن ايضا في ثلاثه. الصحة في التعلم و التفکر الاعتقادات و الايمان بالله تبارک و تعالي؛ اَن لا يقع الانسان في ضلالة فينفد ما عنده و لا يقدر ان يجبره و هي في رأس النعم. و ما يذکر الله تعالي ذکر نعمة في کتابه الا و يريد بهذه النعمه الهداية الي الولايه؛ و يحصل في ولايته العلم و الحکمة يهتدي بهداية الله. لان نعمة الدين و الايمان و العلم و الحکمه من اکمل ما انعم الله علي عباده، و لو لم يطلب الانسان هذه النعم او لم يحصل له نعمة الايمان بالولايه لم يحصل له شيئ في العالم. لان الحيوة الروحيه و البدنيه و الاجتماعيه لا تقوم الا بنعمة العلم و الحکمه. و لذلک قال الله تعالي يوم اذ اقام عليا مقام النبي(ص): "*اليومَ اَکملتُ لکم دينَکم و اتممتُ عليکم نعمتي*"[[37]](#footnote-38) و يفسر الله تعالي في سورة الحمد "الصراط المستقيم" بمن انعم الله عليهم، يقول "

"*اهدنا الصراطَ المستقيمَ صراطَ الذين انعمتَ عليهم*" ولو کان هذه الانعام هي الماديات من الاغذيه و الاطعمة و الاشربه و ما به قوام الحيوة الدنيا لا يناسب هذا الصراط المستقيم ان يقول الانسان في صلواته يطلب الهدايه من الله تبارک وتعالي الي الاغذيه و الاشربه کم انسان و حيوان يغتذي بالاطعمه و الاشربه و لا يصلي لربه و لا يصوم. فالصراط المستقيم هي صراط العلم و الحکمه التي يوجد في ولايه علي اميرالمؤمنين. و شر السرقه و القتل و اشدّ الفقر و الفاقه هي السرقة الدين و العقل. يقول تعالي في سورة الفلق: "*من شرِغاسقٍ اذا وقب و من شر النفاثات في العقد*" و هي الغاسق الذي يسرق العقل من البشر في ظلمة تفکره و تعقله. فالانسان الذي سرق منه نعمة العقل و الايمان او منع عنه هذا النعمه من افقر الفقراء بل هو من الهالکين. روي عن مولانا علي عليه السلام يقول: "ا*َلا و انّ من البلاء الفاقه و اشد منه مرض البدن و اشد منه مرض العقل فمن وهب له العقل وهب له کل شيئ و من منع من العقل منع من کل شيئ*" فيجب علي الانسان ان يطلب الامن و الصحه و السلامه في دينه.

و النعمه الثانيه صحة البدن ان يکون سالما في مزاجه و دمه و لحمه و عظمه و غيرذلک من الامراض و الافات و الاسقام، و حفظ هذه الصحه يحتاج الي العلم و الحکمه ان يکون عالما بالاغذيه المتنوعة و اثارها و عالما بکيفية الانتفاع بها. فالانسان من حيث الانتفاع من الاغذية و الاشربة في ثلاثة مجاهيل، يأتيه الموت من هذه الثلاثه. فالانسان هوالذي يميت نفسه و يحرمها لا ان الله تعالي قدّر له الموت فاماته. و لعلک تتعجّب من قولنا هذا ان الانسان يميت نفسه! فاليک حديثا روي عن الصادق عليه السلام في کتاب مکارم الاخلاق في تفسيرقوله تعالي "*ما اصابکم من مصيبة فبما کسبت ايديکم و يعفو عن کثير*" فيقول الامام عليه السلام ان هذه الايه في الالام و الاسقام. فالمصائب المذکوره في الايه بمعني اصابة الامراض، و العفو [[38]](#footnote-39)عن کثيرمنها محو هذه الامراض و علاجها. ولو کان العفو في هذه الايه بمعني العفو المعاصي لم يقل الله بانه يعفوعن کثير. فانه تعالي لو شاء ان يعفو عن المعاصي يعفو عن کلها بحيث لا يبقي اثر العصيان ولو لم يعفو لم يعفو عن شيئ منها صغيرها و کبيرها.

فما لله تعالي يعفو عن کثير من هذه المصائب التي اکتسبناها بايدينا و لا يعفو عن کلها؟ فيخبر الله تعالي ان العبد هو الذي يمرض نفسه و يسقمها فيبتلي بالامراض و الاسقام و لعله في کل يوم و ليلة يوجد في نفسه امراضا کثيرة بحيث لو ترک و هذه الامراض، لمات في يومه و ليلته؛ ولو مات، بطل تقدير الله تعالي حيث انه قدّر له اجلا مسمي. فيعالج الله تعالي هذه الامراض و الاسقام التي اوجده الانسان بجهله و يترک من هذه الامراض واحدا في مأة او الف، لا يعالجها ليعلّم الانسان ما فعل بنفسه. فيأتيه الموت و الهرم من هذه الامراض المتروکه واحدة من مأة او الف. و ذلک لان الانسان لا يقدر بنفسه ان يجد الاعتدال في الانتفاع بالاغذيه و الاشربه و الالبسه و غيرها. يقول الله تعالي "*کلوا و اشربوا و لا تسرفوا*"[[39]](#footnote-40) مثلا تريد ان تشرب ماء ترفع بها عطشک فلو زدت علي مقدارهذا الماء قطرة تضرّک ولو نقصت منها قطرة کذلک ايضا تضرک. فمن الذي يعلم مقدار الماء الذي يشربها بحيث لا يزيد و لا ينقص قطرة او اقلّ من القطره؟ وکذلک ساير الاغذيه. هل تعلم دقيقا مقدار احتياج مزاجک الي الغذاء بحيث لا يزيد مثقال ذرة و لا ينقص مثقال ذره؟

فعلي ذلک نقول يقع الانسان کل يوم من الايام من جهة الانتفاع بالاطعمة و الاشربه في ثلاثة مجاهيل. فلا يحصل لک الامنيه من جهة الاشربة و الاطعمه الا بالله تبارک وتعالي. فلو فوّضت في ذلک امرک الي الله يأخذ الله تعالي بالاعتدال في مزاجک ابدا فلا يزيد علي ما تطلب مزاجک شيئا و لا ينقص شيئا.

و تارة يحصل الخوف للفرد من الاجتماع. فيعدوا بعض الناس علي بعض و يظلم بعضهم بعض. فمن الذي يقدر ان يجعل الناس علي نظام واحد، يعرف کل واحد منهم حقّه فيقنع به و لا يتجاوز حقه فيظلم، و يکون الناس علي نظام واحد قائمين في حد الاعتدال؟ هل الملوک يقدرون علي ذلک؟ کم من ملک کان يملک الناس في القرون و لم يقدر ان يدفع الظلم علي المظلومين بل اجبر هذا الملک علي الظلم لشدة احتياجه الي الناس و حفظ ملکه؛ فکان من اظلم الناس قبل ان يکون عادلا.

فلا يحصل لاحد امن في حيوته الا بالله تعالي. و لذلک يعد الله المؤمنين المظلومين الذين استضعفوا علي وجه الارض و مُنعوا عن حقوقهم ان يجعل لهم الله في الحيوة الاخره ان يکونوا عند مليک مقتدر. فقال:

"انّ المتقين في جنات و نهر في مقعد صدق عند مليک مقتدر" و الملک المقتدر هو الله تعالي و الائمة عليهم السلام.

 والحمدالله اولا وآخرا و انا العبد

 محمد علي صالح غفاري

 1/12/67

1. حجر، 87 [↑](#footnote-ref-2)
2. الرحمن، 37و انشقاق، 1و انفطار، 1و فرقان، 25 [↑](#footnote-ref-3)
3. یسین، 39 و38 و40 [↑](#footnote-ref-4)
4. الحاقه، 16 [↑](#footnote-ref-5)
5. الرحمن، 33= یا معشر الجن و الانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات و الارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان. [↑](#footnote-ref-6)
6. نبأ، 19و زمر، 67 [↑](#footnote-ref-7)
7. الدر المنثور، جلد 6و تفسیر قمی، جلد 2و امالی شیخ طوسی، جلد 1. [↑](#footnote-ref-8)
8. فی مکة قبل الهجره [↑](#footnote-ref-9)
9. نهج البلاغه خطبۀ اول [↑](#footnote-ref-10)
10. نهج، خطبۀ 184؟ [↑](#footnote-ref-11)
11. انعام، 67 [↑](#footnote-ref-12)
12. جاثیه 14و نجم، 31 [↑](#footnote-ref-13)
13. بقره، 204و205 [↑](#footnote-ref-14)
14. هُمزه، 9 [↑](#footnote-ref-15)
15. روم، 25 [↑](#footnote-ref-16)
16. شعراء، 101و شوری، 7 [↑](#footnote-ref-17)
17. ذاریات، 41و 42 [↑](#footnote-ref-18)
18. حجر، 22 [↑](#footnote-ref-19)
19. الاعلی، 4و5 [↑](#footnote-ref-20)
20. الایات: 29الی 32= فنادَوا صاحبهم فتاطی فعقر. فکیف کان عذابی و نُذُر. انا ارسلنا علیهم صیحةً واحدةً فکانوا کهشیم المحتضِر. و لقد یسّرنا القرآن للذکر فهل من مدّکر. [↑](#footnote-ref-21)
21. اسراء، 59 [↑](#footnote-ref-22)
22. نهج البلاغه، [↑](#footnote-ref-23)
23. الایات: 34 الی 42= انا ارسلنا علیهم حاصبا الا ال لوط نجیناهم بسحر. نعمة من عندنا کذلک نجزی من شکر. و لقد انذرهم بطشتنا فتمارَوا بالنذر. و لقد راودوه عن ضیفه فطمسنا اعینهم فذوقوا عذابی و نُذُر. و لقد صبّحهم بُکرة عذابٌ مستقِر. فذوقوا عذابی و نُذُر. و لقد یسّرنا القرآن للذّکر فهل من مدّکر. و لقد جاء آل فرعون النذُر. کذّبوا بایاتنا کلِها فاخذناهم أخذ عزیز مقتدر. [↑](#footnote-ref-24)
24. الاحزاب، 13 [↑](#footnote-ref-25)
25. بقره، 62 [↑](#footnote-ref-26)
26. مجادله، 21و مجادله، 22 و صافات، 173 [↑](#footnote-ref-27)
27. سجده، 21 [↑](#footnote-ref-28)
28. رعد، 31= ولو ان قرآنا سیرت... [↑](#footnote-ref-29)
29. زخرف، 77 [↑](#footnote-ref-30)
30. کهف، 103و 104و انفال، 48 [↑](#footnote-ref-31)
31. اسراء، 13و جاثیه، 29و زلزال، 7و8 [↑](#footnote-ref-32)
32. بقره، 269 [↑](#footnote-ref-33)
33. الکافی، جلد 1، کتاب العقل و الجهل [↑](#footnote-ref-34)
34. بقره، 25 [↑](#footnote-ref-35)
35. مریم، 25 [↑](#footnote-ref-36)
36. [↑](#footnote-ref-37)
37. مائده، 3 [↑](#footnote-ref-38)
38. شوری، 30 [↑](#footnote-ref-39)
39. الاعراف، 31 [↑](#footnote-ref-40)